

غَضَبُ الدِّينِ عَلَى الْقَائِلِينَ بِوَحْدَةِ الْأَدْيَانِ

قال الشيخ ربيع بن هادي المدخلي
حفظه الله تعالى

تعليقاً على رسالة أخينا أسعد بن عجيل وفقه الله والتي بعنوان: «غضب الدين على القائلين بوحدة الأديان» وذلك في (١٤٣٢/٤/٢٢) في بيته وبقلمه: «قولهم أصل الديانات الإلهية واحد» إذا ضمنت إليه قولهم: «مما يؤسس إجماع قاعدة واسعة للالتقاء مع المؤمنين بالديانات الأخرى على صعد مشتركة» إذا ضمنت هذا إلى ذاك ظهر لك جلياً أنهم يقولون بوحدة الأديان، وأن قصدهم بالديانات الإلهية: الإسلام، واليهودية المحرفة، والنصرانية المحرفة، وغيرها من الأديان، ولا يجادل في هذا إلا مكابرٌ تجاوزاً أقصى حدود المكابرات والسفسطات. وقولهم: «دون مساس بالتمييز العقدي والاستقلال الفكري» اعتراف واضح بحرية التدين ومساواة الأديان ودعوة صارخة إلى ذلك.

تأليف
أسعد بن عجيل

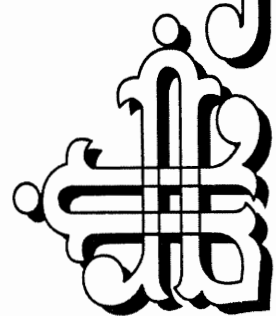
دار أسبيل المؤمنين
للنشر والتوزيع

مصر لادخ

أبي حيدر الرمن والملني

والفلسطيني

غَضَبُ الدَّيَّانِ
عَلَى
الْقَائِلِينَ بِوَحْدَةِ الْأَكْبَانِ





حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م

رقم الإيداع: ١٣٥٤٤ / ٢٠١١ م

دار سبيل المؤمنين

للنشر والتوزيع

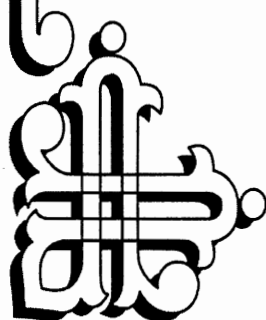
عين شمس - القاهرة - جمهورية مصر العربية

جوال: ٠٠٢٠١٠٠٧٦١٠٠٩٩

البريد الإلكتروني:

Dar_sabilelmomnen@yahoo.com

Dar_sabilelmomnen@hotmail.com



غَضَبُ الدِّينَانِ
عَلَى
الْقَائِلِينَ بِوَحْدَةِ الْإِلَهِاتِ

تَأَلَّفَ
أَسْعَدُ بْنُ عَجَّازٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لِلنَّشْرِ وَالنُّوْزِيعِ

قال تعالى

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ
الْمُؤْمِنِينَ تُولِيهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

[النساء: ١١٥]

سُئِلَ سَمَاحَةُ الشَّيْخِ عَبْدِ الْحَمْسَنِ بْنِ حَمْدِ الْعَبَّادِ الْبَدْرِيِّ (حَفَظَهُ اللَّهُ) عَنْ هَذَا الْمَوْضُوعِ فَأَجَابَ فَضِيلَتَهُ
يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ١٤٣١/٦/٥:

السُّؤَالُ الْأَوَّلُ: يَقُولُ وَجَدْتُ هَذِهِ الْعِبَارَةَ تَقُولُ: (أَصْلُ الدِّيَانَاتِ الْإِلَهِيَّةِ وَاحِدٌ، وَالْمُسْلِمُ يُؤْمِنُ بِجَمِيعِ
الرُّسُلِ، وَلَا يَفْتَرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَنْ يُنْكَارَ رِسَالَةُ أَمِيٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ خُرُوجَ عَنِ الْإِسْلَامِ، مِمَّا يُؤَسِّسُ لِتَجَادُّ
قَاعِدَةٍ وَاسِعَةٍ لِلاتِّقَاءِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْدِّيَانَاتِ الْآخَرَى عَلَى صَعْدِ مُشْرَكَةٍ فِي خِدْمَةِ الْجَمْعِ الْإِنْسَانِيِّ دُونَ
مَسَاسٍ بِالتَّمْيِيزِ الْعَقْدِيِّ وَالِاسْتِقْلَالِ الْفِكْرِيِّ)...

جَوَابُ الشَّيْخِ (حَفَظَهُ اللَّهُ): (الْكَلَامُ الْأَوَّلُ جَمِيلٌ وَالْكَلَامُ الْآخِرُ خَبِيثٌ، أَوَّلُهُ حَسَنٌ وَآخِرُهُ سَيِّئٌ، يَعْنِي
كُونَ الرُّسُلَ دِيَانَاتٍ وَاحِدَةٍ، وَأَنْهُمْ يَدْعُونَ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَأَنْهُ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَأَنْ مِنْ كُفْرٍ
بِوَاحِدٍ فَهُوَ كَافِرٌ بِالْجَمِيعِ هَذَا كُلُّهُ حَقٌّ، وَأَمَّا هَذَا الْكَلَامُ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ بِالتَّقَاةِ الدِّيَانَاتِ بَعْدَ بَعَثَةِ نَبِيِّنَا
مُحَمَّدٍ ﷺ لَيْسَ فِي دِينٍ حَقٍّ إِلَّا دِينُ الْإِسْلَامِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُعْتَقَدَ أَنَّ هُنَاكَ دِينَ مُوْجُودَ الْآنَ يَعْنِي تَبِعَهُ غَيْرُ
الْمُسْلِمِينَ هُوَ حَقٌّ بَلِ الشَّرَائِعُ كُلُّهَا نَسَخَتْ بِبَعَثِهِ ﷺ، كَمَا قَالَ ﷺ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ
مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَا يُؤْمِنُ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَتْ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ))^(١)،
وَقَالَ: ((وَلَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسَعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي))^(٢). وَعِيسَى إِذَا نَزَلَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَحْكُمُ بِشَرْعَةِ
الرُّسُولِ ﷺ وَلَا يَحْكُمُ بِالْإِنْجِيلِ، الشَّرَائِعُ انْتَهَتْ بِبَعَثِهِ ﷺ لَيْسَ لَهَا وَجُودُ الْآنَ، لَكِنْ يَعْنِي جَاءَ بِمَا

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد (٣ / ٣٨٧)، قال الشيخ الألباني (حسن).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَهْيِدٌ

إِنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا

وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ. وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١، ٧٠].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار؛ أما بعد:

فإننا اليوم في زمان كثرت فيه الفتن وكثر فيه أهلها، والفتنة كلما كانت في الدين كانت أشد؛ لأنها إذا كانت في دنيا العبد في ماله، أو في نفسه كانت أخف، فإذا تلف ماله، أو تلفت نفسه، عوّض الله المال، وأدخله الله الجنة إذا كان مرضيًا له، أما إذا كانت في الدين فإنها أخطر وأشد.

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن رسول الله ﷺ قال: «تكون بين يدي الساعة

فِتْنٌ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ، يَصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيَمْسِي كَافِرًا، وَيَمْسِي مُؤْمِنًا

ويصبح كافراً، يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا»^(١).

وعن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْفِتْنَةِ؟ قُلْتُ: أَنَا، كَمَا قَالَهُ. قَالَ: إِنَّكَ عَلَيْهِ أَوْ عَلَيْهَا لَجَرِيءٌ. قُلْتُ: فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ تُكْفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ وَالصَّدَقَةُ وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ. قَالَ: لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ وَلَكِنَّ الْفِتْنَةَ الَّتِي تَمُوجُ كَمَا يَمُوجُ الْبَحْرُ. قَالَ لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا بَأْسٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابٌ مُغْلَقٌ. قَالَ: أَيَكْسَرُ أَمْ يُفْتَحُ؟ قَالَ: يُكْسَرُ قَالَ: إِذَا لَا يُغْلَقُ أَبَدًا. قُلْنَا: أَكَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ الْبَابَ؟ قَالَ: نَعَمْ كَمَا أَنَّ دُونَ الْغَدِ اللَّيْلَةَ، إِنِّي حَدَّثْتُهُ بِحَدِيثٍ لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ، فَهَبْنَا أَنْ نَسْأَلَ حُذَيْفَةَ، فَأَمَرَنَا مَسْرُوقًا، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: الْبَابُ عُمَرُ»^(٢).

فمنذ مات عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ انفتح باب الفتن على الأمة، ودائماً تبدأ الفتنة بالانحراف عن السنة، ثم تنتهي بالانحراف في العقيدة، بدءاً بفتنة الخوارج التي بدأت بالانحراف عن السنة فيما يتعلق بحقوق ولاية الأمر في عدم تتبع عثراتهم، وانتهى الأمر عندهم بالخروج، وتكفير الصحابة، وتكفير صاحب الكبيرة، وإنكار الشفاعة.

ثم توالى الفتن على الأمة وتلاحق الشر وتوالى حتى ولدت هذه الدعوة المخبوءة الموبوءة المتناهية في الشر والفساد؛ دعوة توحيد الأديان، أو ما يُسمى بالتقارب بين الأديان، بدءوا بتميع السنة، وانتهوا بتميع الإسلام، ودائماً تكون هذه الدعوة وافدة من الكفار الأصليين من اليهود والنصارى، فأول بدئها في

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة في باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن رقم (١١٨)،

ورواه الترمذي في باب ما جاء «ستكون فتن كقطع الليل المظلم» رقم (٢١٩٧).

(٢) رواه البخاري في باب الصلاة، كفارة رقم (٥٠٢).

الأمّة بدأت عند القائلين بوحدة الوجود؛ ابن عربي، وابن سبعين، وابن هود وغيرهم من القائلين بوحدة الوجود والحلول والاتحاد، وهي بدعة يهودية نصرانية أصلها القول بحلول الله تعالى وتقّديس في جسد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفي هذه الأزمنة ظهرت هذه المقالة من المستغربين والمستشرقين والمتأثرين بهم، مثل: جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده والإخوان المسلمين، ثم المتأثرين بهم ممن كانوا يدّعون السنة ويتحشرون في أهلها، وتوافق عندهم جميعاً تمييع السُّنة واصطحبه تمييع الإسلام، الأمر الذي دعا إلى كتابة هذه الكلمات.

والله نسأل التوفيق والسداد والسلامة من الفتن ما ظهر منها وما بطن.



الفصل الأول

فَضْلُ الْإِسْلَامِ

إِنْ نِعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا كَثِيرَةٌ، وَأَفْضَلُ هَذِهِ النِّعَمِ نِعْمَةُ الدِّينِ؛ الَّتِي هِيَ تَاجُ النِّعَمِ عَلَى الْإِطْلَاقِ؛ نِعْمَةُ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ الَّتِي شَرَّفَنَا اللَّهُ بِهَا وَأَمَرَنَا أَنْ نَفْرَحَ بِهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: ٥٨]، وَفَضْلُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ هُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ أَحْسَنُ الدِّينِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: ١٢٥]، أَيُّ لَا أَحْسَنَ دِينًا مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ أَبَدًا، أُمَّةُ اللَّهِ لَنَا غَايَةُ التَّهَامِ، وَبِتَهَامِهِ ظَهَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَى أُمَّةِ الْإِسْلَامِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، هَذِهِ أَكْبَرُ نِعَمِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ؛ حَيْثُ أَكْمَلَ تَعَالَى لَهُمْ دِينَهُمْ، فَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى دِينٍ غَيْرِهِ، وَلَا إِلَى نَبِيٍّ غَيْرِ نَبِيِّهِمْ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ -؛ وَلِهَذَا جَعَلَهُ اللَّهُ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ، وَبَعَثَهُ إِلَى الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، فَلَا حَلَالَ إِلَّا مَا أَحَلَّهُ، وَلَا حَرَامَ إِلَّا مَا حَرَمَهُ، وَلَا دِينَ إِلَّا مَا شَرَعَهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ أَخْبَرَ بِهِ فَهُوَ حَقٌّ وَصَدَقٌ، لَا كَذِبَ فِيهِ وَلَا خُلْفَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، أَيُّ: صَدَقًا فِي الْأَخْبَارِ، وَعَدْلًا فِي الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، فَلَمَّا أَكْمَلَ الدِّينَ لَهُمْ، تَمَّتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، أَيُّ: فَأَرْضَوْهُ أَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّهُ الدِّينَ الَّذِي رَضِيَهُ اللَّهُ وَأَحْبَبَهُ وَبَعَثَ بِهِ أَفْضَلَ رَسَلِهِ الْكَرَامِ، وَأَنْزَلَ بِهِ أَشْرَفَ كُتُبِهِ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وَهُوَ

الإسلام، أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبداً، وقد رضىه الله فلا يسخطه أبداً.

وقال أسباط عن السدي: نزلت هذه الآية يوم عرفة، فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام، ورجع رسول الله ﷺ فمات. قالت أسماء بنت عميس: حَجَجْتُ مع رسول الله ﷺ تلك الحجة، فبينما نحن نسير، إذ تَجَلَّى له جبريل، فمال رسول الله ﷺ على الراحلة، فلم تطق الراحلة من ثقل ما عليها من القرآن، فبركت، فأتيته فَسَجَّيْتُ عليه بُرْدًا كان عليّ.

قال ابن جُرَيْج وغير واحد: مات رسول الله ﷺ بعد يوم عرفة بواحد وثمانين يوماً.

رواهما ابن جرير، ثم قال: حدثنا سفيان بن وكيع، حدثنا ابن فضيل، عن هارون بن عنترة، عن أبيه قال: لما نزلت: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وذلك يوم الحج الأكبر، بكى عمر، فقال له النبي ﷺ: «ما يبكيك؟» قال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذ أكمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص. فقال: «صدقت».

ويشهد لهذا المعنى الحديث الثابت: «إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»^(٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا جعفر بن عون، حدثنا أبو العُمَيْس، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يا أمير المؤمنين! إنكم تقرأون آية في كتابكم، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا

(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٤٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبرقم (١٤٦) من حديث

عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ذلك اليوم عيداً. قال: وأي آية؟ قال: قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ فقال عمر: والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله ﷺ، والساعة التي نزلت فيها على رسول الله ﷺ، نزلت عَشِيَّةَ عَرَفَةَ في يوم الجمعة (٤) (٥).

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١].

ومما ورد من الأحاديث في ذلك: عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيَمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، أُوتِيَ أَهْلُ التَّوْرَةِ التَّوْرَةُ فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ عَجَزُوا، فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُوتِيَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ عَجَزُوا، فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُوتِينَا الْقُرْآنَ فَعَمِلْنَا إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ فَأَعْطِينَا قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ: أَيُّ رَبَّنَا أَعْطِيتَ هَؤُلَاءِ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ وَأَعْطَيْنَا قِيرَاطًا قِيرَاطًا وَنَحْنُ كُنَّا أَكْثَرَ عَمَلًا. قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: هَلْ ظَلَمْتُمْكُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَهُوَ فَضْلِي أُوتِيَهُ مَنْ أَشَاءُ» (٦).

وعن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «بشر هذه الأمة بالسَّاءِ والرَّفْعَةِ والدين والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدينا؛ لم يكن له في الآخرة

(٤) رواه أحمد في المسند (٢٨/١)، والبخاري رقم (٤٥)، ومسلم رقم (٣٠١٧)، والترمذي رقم (٣٠٤٣)، والنسائي (٢٥١/٥).

(٥) تفسير ابن كثير، سورة المائدة، آية: (٣).

(٦) رواه البخاري في باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب رقم (٥٣٢).

من نصيب»^(٧)

وفي رواية للبيهقي: قال رسول الله ﷺ: «بشر هذه الأمة بالتيسير والسناء، والرِّفعة بالدين، والتمكين في البلاد والنصر، فمن عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا فليس له في الآخرة من نصيب»^(٨).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِيمَا يَرَى النَّاسُ كَأَنَّا فِي دَارِ عُقْبَةَ بْنِ رَافِعٍ، فَأْتَيْنَا بِرُطَبٍ مِنْ رُطَبِ ابْنِ طَابٍ، فَأَوَّلْتُ الرِّفْعَةَ لَنَا فِي الدُّنْيَا وَالْعَاقِبَةَ فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ دِينَنَا قَدْ طَابَ»^(٩).

تَعْرِيفٌ بِالْإِسْلَامِ:

الإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

وله مفهوم عامٌّ ومفهوم خاصٌّ؛ فالمفهوم الخاص: هو ما بُعث به النبي ﷺ؛ وهو الذي لا يقبل الله ديناً سواه، فكل ما على الأرض من إنسان، أو جان في عالم الأحياء بعد مبعث النبي ﷺ وهو لم يؤمن به فهو كافر.

يدخله المرء بالشهادتين، شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، لفظاً واعتقاداً وعملاً بهما، اعتقاداً للأخبار الصادقة من مسائل الإيَّان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر والقدر، وعملاً بالأوامر العادلة من أعمال الإسلام من صلاة، وزكاة، وصيام...

(٧) رواه أحمد، وابن حبان في صحيحه، والحاكم، والبيهقي، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

(٨) صحيحه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٢٣).

(٩) رواه مسلم في باب رؤيا النبي ﷺ رقم (٤٢١٥).

أما المفهوم العام: فهو «الإسلام الذي تعبد به كل رسول بُعث إلى قومه، وعليه الأنبياء والمرسلون وإن كان لكل منهم شرعةٌ ومنهاجًا، فالشرعة هي الشريعة، قال الله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٨) إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

والمنهاج هو الطريق، قال تعالى: ﴿وَأَلَوْ اسْتَقْنُمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذَقًا﴾ (١٦) لِنَفْسِهِمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٦، ١٧].

فالشرعة بمنزلة الشريعة للنهر، والمنهاج هو الطريق الذي سلك فيه، والغاية المقصودة هي حقيقة الدين؛ وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وهي حقيقة دين الإسلام، وهو أن يستسلم العبد لله رب العالمين، لا يستسلم لغيره، فمن استسلم له ولغيره كان مشركًا، والله ﴿لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ١١٦]، ومن لم يستسلم لله بل استكبر عن عبادته كان ممن قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

ودين الإسلام هو دين الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٨٥) [آل عمران: ٨٥]، عامٌّ في كل زمان ومكان، فنوح وإبراهيم ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى والحواريون كلهم دينهم الإسلام؛ الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له، قال الله تعالى عن نوح: ﴿يَقُولُ إِنْ كُنْ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ (٧١) [يونس: ٧١]، إلى أن قال: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٧٢) [يونس: ٧٢]، وقال

تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢) [البقرة: ١٣٠ - ١٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمُ إِن كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ (٨٤) [يونس: ٨٤]، وقال السحرة: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (١٣٦) [الأعراف: ١٢٦]، وقال يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (١٠١) [يوسف: ١٠١]، وقالت بلقيس: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٤) [النمل: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّاتُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال الحواريون: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٥٢).

[آل عمران: ٥٢]

فدين الأنبياء واحد وإن تنوعت شرائعهم، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «إِنَّا مَعَشَرُ الْأَنْبِيَاءِ دِينَنَا وَاحِدٌ» (١٠) (١١).

والإسلام مبني على المحاسن جميعها والكمالات كلها؛ في كل جانب من جوانب الحياة الدنيا والآخرة، وفي كل باب من أبواب الدين والدنيا، ففي جانب العقيدة وأبواب العقيدة جاء بأعظم العقائد وأزكاها وأطيبها، جاء بالعقائد الصحيحة في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر وما يلتحق بذلك من مسائل الأخبار.

جاء بعقيدة التوحيد والأرض جميعاً ترزح بالشرك والجهل والظلام، فالأديان

(١٠) أخرجه البخاري في (الأنبياء) رقم (٣٤٤٣)، ومسلم في (الفضائل) رقم (٢٣٦٥/١٤٥).

(١١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (ج ٢ / ص ٤٨٩).

التي كانت قبل الإسلام تغيرت بالشرك فضلاً عن غيرهم من أهل هذه الأديان ممن هو مشرك، أو ملحد.

جاء بالتوحيد؛ لكي يعطي للحياة طعمًا لأنه لا طعم للحياة إلا إذا كان الإنسان على هذا التوحيد؛ لكي ينجو الإنسان في هذه الحياة الدنيا من الضلال، وفي الآخرة من النار.
أهمية التوحيد.

وهذا التوحيد هو أُسُّ الدين وأساسه فهو كالأساس للبيت الذي هو بقيت شرائع الإسلام، فإن البيت ينهدم إذا كان بدون أساس، وهو أول الدين وآخره وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل وآخرها.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

فلو اُحِدٌ كُنْ واحِدًا في واحدٍ أعني سبيل الحق والإيمان^(١٢)

لله تعالى كن موحدًا في طريق الرسول ﷺ، وهو الاتباع للنبي ﷺ والسلف الصالح، وهم الصحابة والتابعون وأتباع التابعين.

وهو ثلاثة أنواع:

الأول: توحيد الربوبية: وهو توحيد الله بفعله، والإيمان بانفراد الله بخلقه وملكه وتديره، وهو الذي أقر به المشركون.

الثاني: الإيمان بانفراد الله بعبوديته؛ وعبادته وحده والكفر بما يعبد من دونه وهذا النوع هو الذي وقعت فيه الخصومة بين الرسل وأقوامهم.

الثالث: توحيد الأسماء والصفات؛ وهو الإيمان بأسماء الله وصفاته المختصة

(١٢) النونية لابن القيم.

به، الثابتة في القرآن والسنة.

وذلك بإثبات ما أثبت الله ورسوله من الأسماء والصفات ونفى ما نفى الله ورسوله في الكتاب والسنة منها، دون تحريف، أو تمثيل، أو تعطيل.

والذي أنكره المشركون هو توحيد العبادة: [وهو معنى قول لا إله إلا الله، فإن الإله هو المألوه المعبود بالمحبة والخشية والإجلال والتعظيم، وجميع أنواع العبادة، ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة، وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكفار، وسعداء أهل جنة، وأشقياء أهل نار، قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝﴾ [البقرة: ٢١]، فهذا أول أمر في القرآن، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَفْقَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۝﴾ [الأعراف: ٥٩]، فهذه دعوة أول رسول بعد حدوث الشرك، وقال هود عليه السلام لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۝﴾ [الأعراف: ٦٥]، وقال صالح عليه السلام لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۝﴾ [هود: ٦١]، وقال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۝﴾ [الأعراف: ٨٥]، وقال إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝﴾ [الأنعام: ٧٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ۝﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ۝﴾ [الزخرف: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝﴾ [الذاريات: ٥٦].

[الذاريات: ٥٦]

وقال هرقل لأبي سفيان - لما سأله عن النبي ﷺ ما يقول لكم؟ - قال: يقول:

اعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم^(١٣).
وقال النبي ﷺ لمعاذ: «إنك تأتي قومًا أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله». وفي رواية: «أن يوحدوا الله^(١٤)»^(١٥).
كفاية الإسلام :

ومن محاسن هذا الدين أنه نظم حياة المسلم بالشرعية الغراء غاية التنظيم، وجعله محكومًا بها كما قال جلّ وعلا: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٦٥).

[النساء: ٦٥]

وجعل هذه الشريعة الغراء كافية؛ شاملة؛ جامعة؛ مانعة؛ لا يحتاج المسلم معها إلى سواها؛ اشتملت وانتظمت ما يحتاجه المسلم في العبادة والعادة، ففي العبادة لا يتعبد المسلم إلا بما أمر الله به ورسوله ﷺ، وفي المعاملات يجب عليه أن يمثل السنة في نفسه ومع غيره.

وما تركت هذه الشريعة لقائل أن يقول في دين الله، أو يزيد فيه، أو أن ينقص منه، فقد انتظمت كل ما يحتاجه الناس من آداب اللباس والطعام والشراب والمشى، وآداب المجالس، بل وحتى آداب التخلي وقضاء الحاجة، ففي السنة هذه الأبواب وغيرها مما هي مثلها أو أعلى منها؛ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «تَرَكَنَا

(١٣) أخرجه البخاري في باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ رقم (٧).

(١٤) رواه البخاري في باب: لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الزكاة، رقم (١٣٨٩)، ومسلم في باب

الدعاء إلى الشهادتين، رقم (٣١).

(١٥) تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد (الجزء الأول/ ص ٢١).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي الْهَوَاءِ، إِلَّا وَهُوَ يُذَكِّرُنَا مِنْهُ عِلْمًا، قَالَ: فَقَالَ ﷺ: «مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرَّبُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعَدُ مِنَ النَّارِ، إِلَّا وَقَدْ يُبَيِّنُ لَكُمْ» (١٦).

وعن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قِيلَ لَهُ: «قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيِّكُمْ ﷺ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةِ. قَالَ: فَقَالَ: أَجَلٌ، لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِعَاثُطٍ، أَوْ بُولٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقْلٍ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ» (١٧).

وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ - يَعْنِي عَمْرُو بْنُ أَخْطَبَ -: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْفَجْرَ وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ فَتَزَلَّ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَّ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِهَا هُوَ كَائِنٌ فَأَعْلَمْنَا أَحْفَظْنَا» (١٨).

يقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:

والدين الإسلامي: متضمن لجميع المصالح التي تضمنتها الأديان السابقة، متميز عليها بكونه صالحًا لكل زمان ومكان وأُمَّة، قال الله تعالى مخاطبًا رسوله ﷺ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

ومعنى كونه صالحًا لكل زمان ومكان وأُمَّة: أن التمسك به لا ينافي مصالح الأُمَّة في أي زمان، أو مكان، بل هو صلاحها، وليس معنى ذلك أنه خاضع لكل زمان ومكان وأُمَّة كما يريده بعض الناس.

والدين الإسلامي: هو دين الحق الذي ضمن الله تعالى لمن تمسك به حق التمسك

(١٦) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة رقم (١٦٢٤).

(١٧) أخرجه مسلم في باب الاستطابة رقم (٣٨٥).

(١٨) رواه مسلم في باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة رقم (٥١٤٩).

أَنْ يَنْصُرَهُ، وَيُظْهِرَهُ عَلَى مَنْ سِوَاهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

والدين الإسلامي: عقيدة، وشريعة، فهو كامل في عقيدته، وشرائعه»^(١٩).
الْتِمَسُّكَ بِالْإِسْلَامِ وَعَدَمُ الْحِيدَةِ عَنْهُ:

فمن عرف هذا وغيره من محاسن هذا الدين فليتمسك به ويعض عليه بالنواجذ، كما أمر النبي ﷺ في حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»^(٢٠).

وَلَا يُعْرَضُهُ لِلزَّوَالِ بِاعْتِقَادِ جَوَازِ التَّدِينِ بِدِينٍ غَيْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ، أَوْ التَّائِيدِ لِدَعَاةِ وَحْدَةِ الْأَدْيَانِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ أَوْ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَا يُؤْمِنُ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»^(٢١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَعْلُومٌ بِالْأَضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْمُسْلِمِينَ

(١٩) نبذة في العقيدة، مجموع فتاوى ورسائل الشيخ العثيمين (ج ٥ / ص ٦٥).

(٢٠) السلسلة الصحيحة رقم (٩٩٨).

(٢١) رواه مسلم في باب وجوب الإيمان برسالة نبينا رقم (١٥٣)، وأحد (٨٢٥٥).

وَبِاتِّفَاقِ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ مَنْ سَوَّغَ اتِّبَاعَ غَيْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ، أَوْ اتَّبَعَ شَرِيعَةَ غَيْرِ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَهُوَ كَافِرٌ، وَهُوَ كَكُفْرِ مَنْ آمَنَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَكَفَرَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝ (١٥٠) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۝ (١٥١)﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥١] (٢٢).

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فدين الحنفية الذي لا دين لله غيره بين هذه الأديان الباطلة التي لا دين في الأرض غيرها أخفى من السها تحت السحاب، وقد نظر الله إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، فأطلع الله شمس الرسالة في حنادس تلك الظلم سراجاً منيراً، وأنعم بها على أهل الأرض نعمة لا يستطيعون لها شكوراً، وأشرق الأرض بنورها أكمل الإشراق، وفاض ذلك النور حتى عمّ النواحي والآفاق، واتسق قمر الهدى أتم الاتساق، وقام دين الله الحنيف على ساق، فله الحمد الذي أنقذنا بمحمد ﷺ من تلك الظلمات، وفتح لنا به باب الهدى فلا يُغلق إلى يوم الميقات، وأرانا بنوره أهل الضلال وهم في ضلالهم يتخبطون، وفي سكرتهم يعمهون، وفي جهالتهم يتقلبون، وفي ربهم يترددون، يؤمنون ولكن بالجبب والطاغوت يؤمنون، ويعدلون ولكن بربهم يعدلون، ويعلمون ولكن ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون، ويسجدون ولكن للصليب والوثن والشمس يسجدون، ويمكرون وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون، ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي

ضَلَلِ مُبِينٌ ﴿١٦٤﴾ [آل عمران: ١٦٤]، ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٥١﴾ فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ [البقرة: ١٥١ - ١٥٢] ﴿٢٣﴾.

«فكيف لا يميز من له بصيرة بين دين أُسِّس على تقوى من الله ورضوان، وارتفع بناؤه على طاعة الرحمن، والعمل بما يرضاه في السرّ والإعلان، وبين دين أُسِّس على شفا جرف هار، فانهار بصاحبه في النار، أُسِّس على عبادة الأصنام والأوثان، والالتجاء إلى الصالحين وغيرهم من الإنس والجان، عند الشدائد والأحزان، وصرف مخ العبادة لغير الملك الديان، ورجا النفع والعطاء والمنع ممن لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، فضلا عن غيره من نوع الإنسان، ودعوى التصرف في الملك لصالح رميم في التراب والأكفان، قد عجز عن دفع ما حلّ به من أمر الله، فكيف يدفع عمّن دعاه من بعيد الأوطان؟!» ﴿٢٤﴾.

يقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «والإسلام بالمعنى الخاص بعد بعثة النبي ﷺ يختص بما بُعِثَ به محمد ﷺ؛ لأن ما بُعِثَ به ﷺ نسخ جميع الأديان السابقة فصار من اتبعه مسلماً، ومن خالفه ليس بمسلم؛ لأنه لم يستسلم لله بل استسلم لهواه، فاليهود مسلمون في زمن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والنصارى مسلمون في زمن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأما حين بُعِثَ محمد ﷺ فكفروا به فليسوا بمسلمين، ولهذا لا يجوز لأحد أن يعتقد أن دين اليهود والنصارى الذي يدينون به اليوم دين صحيح

(٢٣) هداية الحيارى (ج ١ / ص ٩ - ١٠) لابن القيم.

(٢٤) كتاب تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص (٢٢).

مقبول عند الله، مساوٍ لدين الإسلام، بل من اعتقد ذلك فهو كافر، خارج عن دين الإسلام؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].
ويقول: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وهذا الإسلام الذي أشار الله إليه هو الإسلام الذي امتن الله به على محمد ﷺ وأمه، قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وهذا نص صريح في أن مَنْ سِوَى هذه الأمة بعد أن بُعِثَ محمد ﷺ ليسوا على الإسلام، وعلى هذا فما يدينون الله به لا يقبل منهم ولا ينفعهم يوم القيامة، ولا يحل لنا أن نعتبره ديناً قائماً قوياً، ولهذا يخطئ خطأً كبيراً من يصف اليهود والنصارى بقوله: إخوة لنا، أو أن أديانهم اليوم قائمة؛ لما أسلفناه آنفاً^(٢٥).

فلا يصح الآن أن يقال: الأديان السماوية. فليس ثمة دين الآن إلا دين واحد وهو دين الإسلام، وهو الدين الوحيد الذي يدان الله به، أما اليهودية والنصرانية فقد انتهت حين بعث النبي ﷺ وجاء الإسلام، فليست اليهود الآن على شيء، وليست النصارى الآن على شيء؛ لأنهم كفروا بموسى وعيسى عليهما السلام لما كفروا بمحمد ﷺ، فالكفر برسول واحد هو كفر بجميع الرسل.



الفصل الثاني

دُعَاةُ وَحْدَةِ الْأَدْيَانِ

دعاة وحدة الأديان الأوائل:

كان ظهور ذلك مع ظهور الانحراف في حياة الأمة بعد القرون الفاضلة، ظهر القول بوحدة الأديان من القائلين بوحدة الوجود، ولا غرابة في ذلك فإن القائلين بوحدة الوجود من الجهمية، والقائلين بالحلول والاتحاد، كان بدء ذلك القول وأصل مقالتهم أتهم من اليهود والنصارى، فإن النصارى يقولون بحلول الله جَلَّ جَلَالُهُ بجسد عيسى، ومنهم من يقول بالاتحاد، اتحاد الثلاثة عندهم: الله ومريم وعيسى، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

ومن هنا نشأ عند الجهمية القول بالحلول وتوسعوا فيه، فكان قولهم أخبث من قول النصارى والقول بالاتحاد، ولكنهم توسعوا فيه فجعلوا الله يتحد بكل المخلوقات، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وأيضاً كان هذا القول من خبث اليهود الرائدین للقضاء على الإسلام وزرع الضلال والكفر فيه، كما فعلوا ذلك مع النصارى. يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «بل كان ابن سبعين، وابن هود، والتلمساني، وغيرهم يسوغون للرجل أن يتمسك باليهودية والنصرانية كما يتمسك بالإسلام» (٢٦).

يقول ابن عربي في فصوص الحكم لابن عجيبة:

وأسلمت نفسي حيث أسلمني ومالي عن حكم الحبيب تنازعُ

فطوراً تراني في المساجدِ راکعاً وإني طوراً في الكنائسِ راتعُ
إذا كنت في حكمِ الشريعةِ عاصياً فلإني في علمِ الحقيقةِ طائعٌ^(٢٧)
ويقول أيضاً:

عقد الخلائق في الإله عقائداً وأنا اعتقدت جميع ما عقده^(٢٨)

دعاة وحدة الأديان في القرن الماضي:

ثم ظهر القول بوحدة أو تقارب الأديان في هذا الزمان من أصحاب الإسلام المتحضر على حد قولهم، ممن يريدون أن يخترعوا إسلاماً يوافق المدنية المتحضرة على حد قولهم، والحقيقة أنها مدنية متهتكة مستهترة بالقيم والأخلاق، فضلاً عن أصول وقواعد الدين، يريدون إسلاماً بلا عقيدة صحيحة، يريدون إسلاماً عارياً من التمسك بالكتاب والسنة، يريدون إسلاماً مصدره العقل المتلطح المتنجس بالمدنية الغربية المتهتكة، أما إسلام محمد رسول الله ﷺ، إسلام بفهم السلف، فهماً للكتاب والسنة بفهم السلف الصالح فهُمْ أبعد ما يكونون منه، ظهر قولهم منذ تأثروا بالغرب في هذا الزمان وهو وقت ليس بالقريب، وأول من نادى بهذه الدعوة إلى وحدة الأديان في هذا الزمان هو جمال الدين الأفغاني الذي ادعى الإصلاح وهو يريد الإفساد، وقام بحركة يسميها إصلاحية، والحقيقة هي إفساد لدين الله، فمن مبادئ هذه الحركة القول بوحدة الأديان، ومن مبادئها الاكتفاء بالقرآن وترك السنة، وكفى بهذين الهدفين خبثاً وطعنًا في الإسلام، وتهدياً للعرى هذا الدين، يقول الشيخ ربيع حفظه الله: «فإن على هذا الرجل مأخذ كبيرة وقوية منها:

(٢٧) الرد الشرعي المعقول على المتصل المجهول، الشيخ أحمد النجمي رَحِمَهُ اللهُ ص (١٣٥).

(٢٨) الرد الشرعي المعقول على المتصل المجهول، الشيخ أحمد النجمي رَحِمَهُ اللهُ ص (١٣٤).

١ - أنه كان متهمًا بالماسونية، بل كان أحد كبار أعضاء الماسون، وقدمت الأدلة على هذه الاتهامات، من مكاتبتة لأعضائها وطلبه الانضمام إليها واستمراره فيها «خاطرات جمال الدين الأفغاني لمحمد المخزومي ص (٢٠)، وكتاب جمال الدين الأفغاني لعبد الرحمن الرافعي ص (٤٦)».

إلى أن ذكر النقطة الرابعة:

٤ - الدعوة إلى توحيد الأديان الثلاثة: الإسلام، اليهودية، النصرانية» (٢٩).

ثم جاء من بعده تلميذه محمد عبده التركماني، يقول الشيخ ربيع حفظه الله تعالى: «ومن كوارثه المزلزلة للإسلام وأهله دعوته إلى التقريب بين الأديان السماوية، فبعد عودته من فرنسا إلى بيروت أنشأ جمعية سياسية دينية سرية، هدفها التقريب بين الأديان الثلاثة السماوية: «الإسلام، واليهودية، والنصرانية»، وإزالة الشقاق بين أهلها، والتعاون على إزالة ضغط أوربا عن الشرقيين، ولا سيما المسلمين منهم، وتعريف الإفرنج بحقيقة الإسلام، وأحقيقته من أقرب الطرق» (٣٠).

«تبنتها حركة تسمى: «حركة صن مون التوحيدية»، ويقال: «المونية»، وقبلها «الماسونية» وهي: «منظمة يهودية للسيطرة على العالم، ونشر الإلحاد والإباحية»، تحت غطاء الدعوة إلى وحدة الأديان الثلاثة، ونبد التعصب بجامع الإيمان بالله، فكلهم مؤمنون. وقد وقع في حبال دعوتهم: جمال الدين بن صفدر الأفغاني؛ (ت سنة ١٣١٤ بتركيا)، وتلميذه الشيخ محمد عبده بن حسن التركماني؛ (ت سنة ١٣٢٣ بالأسكندرية).

(٢٩) حجية خبر الآحاد، للشيخ ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى، ص (٤٩ - ٥٠).

(٣٠) حجية خبر الآحاد، للشيخ ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى، ص (٥٩).

وكان من جهود محمد عبده، في ذلك، أن أَلَفَ هو وزعيم الطائفة ميرزا باقر الإيراني، الذي تنصّر، ثم عاد إلى الإسلام، ومعهم ممثل جمال الدين الأفغاني، وعدد من رجال الفكر في بيروت، ألفوا فيه جمعية باسم: «جمعية التآليف والتقريب» موضوعها التقريب بين الأديان الثلاثة. وقد دخل في هذه الجمعية بعض الإيرانيين، وبعض الإنجليز، واليهود، كما تراه مفصلاً في كتاب: «تاريخ الأستاذ الإمام: (١ / ٨١٧ - ٨٢٩)» تأليف محمد رشيد رضا؛ المتوفى سنة (١٣٥٤)»^(٣١).

لماذا لم تكن هذه الدعوة في باريس؛ التي تحارب الحجاب الإسلامي، ويعتذر لهم شيخ الأزهر بأن هذه القضية داخلية لهم أن يفعلوها!! لماذا لم تكن هذه الدعوة في لندن؛ التي تحتضن كل من يحارب الإسلام باسم الإسلام وتصرف لهم الأموال، لماذا؟ ولماذا؟ والأمر معروف؛ أن هذه الدعوة تخدمهم وتحقق ما يصبون إليه، يقول تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُوا سَوَاءً...﴾ [النساء: ٨٩]، ويقول أيضاً: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [المتحنة: ٢]، وقال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْنَلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

دعاة التقريب في عصرنا:

إن مما يُلفت النظر ويشير العجب، أن هذه الدعوة الخبيثة تعالت أصواتها في هذا الوقت، وفي بلاد المسلمين، ومما يندى له الجبين أن بعض من ينتسب للإسلام بل والدعوة إليه تأثروا بهذه الدعوات المشؤمة، بل وذهبوا يتمجدون بها ويجعلونها من ساحة الإسلام فما الداعي لذلك، الأسباب كثيرة، منها: شيوع الجهل،

(٣١) الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، للشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله

وضعف الدين، وضعف العقيدة، وقلة من يعرف الدين الصحيح، وغلبة الكفار على كثير من بلاد المسلمين، الأمر الذي جعل بعض ضعاف العقل والدين والعلم من المسلمين يتأثرون بهذه الدعوات الهدامة.

وفي ظل هذه الظروف نسمع اليوم بما يسمى 'بالنظام العالمي الجديد، وظهور من يقول بطبع القرآن الكريم والتوراة والإنجيل في غلاف واحد، وبناء مسجد وكنيسة ومعبد في محلٍّ واحد، خصوصًا في الجامعات والمطارات والساحات العامة، ولماذا لم تطرح هذه الدعوة في بلاد الكفار، لماذا تطرح في بلاد المسلمين وتحط سموها فيهم، إنها الدعوة إلى التحلل من الدين الإسلامي وأصوله، ومن ثمَّ التأثير شيئًا فشيئًا بهذه الأديان الباطلة، فتهدف إلى نقض الدين الحنيف وتزيين الكفر والضلال الذي أضيف إلى تلك الأديان من عقيدة التثليث وعبادة الصليبان والأوثان، والقول ببنوة عيسى، وعقيدة الحلول التي يعتقدها النصارى، والكفر الذي اخترعه اليهود وأضافوه إلى دين موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومن أبرز الدُّعاة في هذا العصر إلى وحدة الأديان هم الإخوان المسلمون.

قال المرشد العام للإخوان المسلمين حسن البنا في إحدى المناسبات الإخوانية:

«ولست حركة الإخوان موجهة ضد أي عقيدة من العقائد، أو دين من الأديان أو طائفة من الطوائف، إذ إن الشعور الذي يهيمن على نفوس القائمين بها أن القواعد الأساسية للرسالات جميعًا قد أصبحت مهددة الآن بالإنحادة، وعلى الرجال المؤمنين بهذه الأديان أن يتكاتفوا ويوجهوا جهودهم إلى إنقاذ الإنسانية من هذا الخطر، ولا يكره الإخوان المسلمون الأجانب النزلاء في البلاد العربية والإسلامية، ولا يضمرون لهم سوءًا، حتى اليهود المواطنين لم يكن بيننا وبينهم إلا العلاقات

الطبية» (٣٢).

وقال أيضًا: «إن خصومتنا لليهود ليست دينية؛ لأن القرآن الكريم حض على مصافاتهم ومصادقتهم، والإسلام شريعة إنسانية قبل أن يكون شريعة قومية، وقد أثنى عليهم وجعل بيننا وبينهم اتفاقًا ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وحينما أراد القرآن الكريم أن يتناول مسألة اليهود تناولها من الوجهة الاقتصادية والقانونية» (٣٣).

ولا يخفى على مسلم أن هذا الموضوع - وحدة وتقارب الأديان - معلومٌ فساد، وأنه تمجُّه الفطرة والعقل السليم، بالإضافة إلى الشرع الحنيف، وأن هذا الشر وهذا الباطل ظاهرٌ أمره وباديةٌ أشراره، ولكن الداعي للإنكار والرد والوازع أكثر، بسبب ظهوره في هذا الوقت، وهذا الزمان، وكثرة دعائه ومروجيه، والأعجب من هذا الأمر العجيب أن بعض من كان يدفع عن السنّة ويتّمي لها (٣٤)؛ أصبح في هذا اللفيف الذي يؤيد ويدافع عن هذه الأفكار، التي تحاك شرورها في الليل والنهار، وتتسع رقعتها في سائر الأقطار، فالواجب على أولي النهى والأبصار، التفطن لذلك والإنكار، فمن أنكر فقد سلم ولكن من رضي وتابع...

بداية الانحراف:

وسبحان الله العظيم فالتوفيق من الله، والخذلان لمن خالف أمره، ولقد أحسن

(٣٢) أبو الحسن المأربي يحامي بالخيانة والبهتان عمن يدعو إلى حرية وأخوة الأديان. للشيخ ربيع حفظه الله ص (٥).

(٣٣) المصدر السابق.

(٣٤) المدعو علي حسن عبد الحميد الحلبي.

الشيخ ربيع حفظه الله، لما سُئِلَ عمن يُزكي أهل البدع، فقال: «هذا تخريب للأصول وسوف يتوسعون في هذا التخريب»^(٣٥)، ولقد بدءوا بتأصيل جديد وقواعد فاسدة، ثم انتهى بهم الأمر إلى استحسان هذه الدعوات الواضحة في الشر والفساد؛ دعوات للتقريب، والإخاء، والتعاون مع أصحاب الديانات الأخرى مثل: اليهود والنصارى وسائر الكفرة، بل والدفاع والتأييد لهذه الدعوات ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِنَّ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

ذاك هو علي الحلبي الذي بدأ بتزكية المجروحين من أهل البدع والمحاماة عنهم، ثم تأصيل أصول فاسدة، يحمي بها مخالقاتهم وانحرافاتهم، ثم آل به الأمر إلى التأييد والدفاع عن رسالة عمان التي فيها دعوة واضحة للتقريب بين الأديان وتسويغ اتباع الأديان الباطلة الكافرة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وَمَعْلُومٌ بِالْإِضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْمُسْلِمِينَ وَبِاتِّفَاقِ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ مَنْ سَوَّغَ اتِّبَاعَ غَيْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ، أَوْ اتَّبَعَ شَرِيعَةً غَيْرَ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَهُوَ كَافِرٌ، وَهُوَ كَكُفْرِ مَنْ آمَنَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَكَفَرَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۝١٥١﴾» [النساء: ١٥٠ - ١٥١] (٣٦).

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «فمن رضي دين النصارى ديناً يدينون الله

(٣٥) من شريط مُسَجَّل محفوظ جواب لسؤال أحد الإخوة الجزائريين.

(٣٦) مجموع الفتاوى (المجلد الخامس / ص ٥٢٤) طبعة ابن القاسم.

به؛ فهو كافر؛ لأنه إذا ساوى غير دين الإسلام مع الإسلام؛ فقد كذب قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]. وبهذا يكون كافرًا، وبهذا نعرف الخطر العظيم الذي أصاب المسلمين اليوم باختلاطهم مع النصراني، والنصارى يدعون إلى دينهم صباحًا ومساءً، والمسلمون لا يتحركون، بل بعض المسلمين الذين ما عرفوا الإسلام حقيقة يلبنون لهؤلاء، ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيْدْهُنُوكَ﴾ [القلم: ٩]، وهذا من المحنة التي أصابت المسلمين الآن، وآلت بهم إلى هذا الذل الذي صاروا فيه» (٣٧).

وقال رحمه الله أيضًا: «أن من اعتقد أنه يجوز لأحد أن يتدين بما شاء وأنه حرٌ فيما يتدين به، فإنه كافر بالله عزَّ وجلَّ؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ويقول: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]. فلا يجوز لأحد أن يعتقد أن دينًا سوى الإسلام جائز، يجوز للإنسان أن يتعبد به، بل إذا اعتقد هذا فقد صرح أهل العلم بأنه كافر كافرًا مخرجًا عن الملة» (٣٨).

ومن العجيب أن هذا الرجل يتلاعب بالألفاظ بأسلوبه الالتوائي، فمن جانب يتبرأ من القول بوحدة الأديان، ومن جانب آخر يؤيد ويدافع عن رسالة عمان بكل قوة، ويصفها بأنها تعبر عن سماحة الإسلام، ويقول: إنه ليس فيها ما يدل على التقريب بين الأديان.

والعلماء الذين ردّوا على الرسالة جميعًا، فهموا منها الدلالة على ذلك، ومنهم:

(٣٧) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين رحمه الله (الجزء ٩ ص ١٢٨).

(٣٨) المناهي اللفظية (ص ٧١).

الشيخ الفوزان عضو هيئة كبار العلماء، والشيخ عبد المحسن العباد، والشيخ ربيع، وغيرهم من العلماء الأجلاء فأَي تناقض وقع فيه هذا الرجل!!!



الفصل الثالث

موقف الحلبي من رسالة عمان

تضمّنت رسالة عمان دعوة صريحة إلى وحدة الأديان والتقريب بينها، وتسويغ اتباع الأديان الباطلة المحرفة، ودعوة إلى التقريب بين المذاهب الباطلة من أهل البدع والأهواء، وبين منهج الحق وهو منهج السلف الصالح، يفهم منها ذلك صغار طلاب العلم قبل كبارهم، ويعرف ما دلّت عليه من قرأها لأول وهلة، فلا تخفى على كل ذي عينين، ومع ذلك كله نرى الحلبي يثني على الرسالة ثناءً عظيمًا، مبرزًا حقيقتها التي تمثل وسطية وسماحة الإسلام على حد زعمه.

بعض نصوص الرسالة التي فيها الدعوة إلى التقريب:

وسأذكر مقاطع من هذه الرسالة كما جاء في نصّها ومحاورها.

أ - «هذه الرسالة السمحة التي أوحى بها الباري جلّت قدرته للنبي الأمين محمد - صلوات الله وسلامه عليه -، وحملها خلفاؤه وآل بيته من بعده - عنوان أخوة إنسانية، ودين يستوعب النشاط الإنساني كله، ويصدع بالحق ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويكرّم الإنسان ويقبل الآخر».

ب - «ذلك أن أصل الديانات الإلهية واحد، والمسلم يؤمن بجميع الرسل، ولا يفرّق بين أحد منهم، وإنّ إنكار رسالة أي واحد منهم خروج عن الإسلام، مما يؤسس إيجاد قاعدة واسعة للالتقاء مع المؤمنين بالديانات الأخرى على صعد مشتركة في خدمة المجتمع الإنساني، دون مساس بالتميّز العقدي، والاستقلال الفكري، مستندين في هذا كله إلى قوله تعالى: ﴿أَمَّا أَرْسُولُكُمْ فَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾

وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَيْتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا يَفْرِقُونَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ج - «وكرم الإسلام الإنسان دون النظر إلى لونه، أو جنسه، أو دينه: ﴿﴾ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴿٧٠﴾ [الإسراء: ٧٠].»

د - «إن ما يجمع بين المذاهب أكثر بكثير مما بينها من الاختلاف، فأصحاب المذاهب الثمانية متفقون على المبادئ الأساسية للإسلام، فكلهم يؤمن بالله سبحانه وتعالى واحداً أحداً، وبأن القرآن الكريم كلام الله المنزل، وبسيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولاً للبشرية كافة. وكلهم متفق على أركان الإسلام الخمسة: الشهادتين، والصلاة، والزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، وعلى أركان الإيمان: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره. واختلاف العلماء من أتباع المذاهب هو اختلاف في الفروع وليس في الأصول، وهو رحمة. وقديماً قيل: إن اختلاف العلماء في الرأي أمرٌ جيد».

هـ - «أنه من أجل إعطاء البيان شرعية دينية أكبر! بُعث بالأسئلة الثلاثة التالية إلى أربعة وعشرين عالماً من كبار علماء المسلمين من ذوي المكانة المرموقة من جميع أنحاء العالم، يمثلون جميع المذاهب والمدارس الفكرية في الإسلام:

١- تعريف من هو المسلم؟

٢- وهل يجوز التكفير؟

٣- ومن له الحق في أن يتصدى للإفتاء؟

واستناداً إلى الفتاوى التي أصدرها هؤلاء العلماء الكبار «الذين من بينهم شيخ الأزهر، وآية الله السيستاني، والشيخ القرضاوي»؛ دُعِيَ إلى عقد المؤتمر الإسلامي

الدّولي الذي شارك فيه مائتان من العلماء المسلمين البارزين من خمسين بلداً، وفي عَمّان أصدر العلماء بالإجماع توافقهم على ثلاث قضايا رئيسية غَدَت تُعرف فيما بعد كـ «محاور رسالة عَمّان الثلاثة» ملخص الرسالة.

ثناء الحلبي على الرسالة:

أما ثناء الحلبي عليها فجاء كما يأتي:

١- وصف الحلبي رسالة عمان بأنها سَبَّاقَة في شرح رسالة الإسلام، فقال: «وَمَا رِسَالَةٌ عَمّان السَّبَّاقَةُ فِي شَرْحِ رِسَالَةِ الْإِسْلَامِ الْحَقِّ الْوَسْطِيَّةِ الَّتِي أَطْلَقَهَا - حَفِظَهُ اللَّهُ وَرَعَاهُ - قَبْلَ أَكْثَرِ مِنْ عَامٍ: إِلَّا دَلِيلًا قَوِيًّا، وَبُرْهَانًا جَلِيًّا عَلَى عِزَّتِهِ بِهَذَا الدِّينِ وَصَفَائِهِ وَاعْتِزَازِهِ بِجَمَالِهِ وَنَقَائِهِ وَحِرْصِهِ عَلَى تَقَدُّمِهِ وَبَقَائِهِ...».

٢- إن الحلبي طبع خُطْبَتَهُ التي أثنى فيها على رسالة عمان ونشرها مرتين مفتخرًا بها، وبنائه على الرسالة.

٣- ورد ثناء أعظم ومدح أكبر على رسالة عمان؛ حيث نشرت مقالات في منتدى كل السلفيين «الذي يشرف عليه الحلبي بنفسه» دون أي نكير منه، ومنها مقالة بعنوان: «رسالة عَمّان.. حجة وبرهان.. ونقضٌ لِبُهْتَانٍ» بقلم عمر بن عبد الحميد البطوش بتاريخ ٢٢/٤/٢٠١٠م.

ومما قال فيها:

«بما أَنَّنِي مهتمٌّ برسالة عَمّان المباركة وقد قمتُ بشرحها وبيان ما تشتمل عليه من محاور بديعة وذلك في كتاب أسميته: «إعانة اللّهُفان بشرح رسالة عَمّان»، وكذا شرحتها في سلسلة من البرامج التلفزيونية على قناة «الصناعية الدولية» في أكثر من (٦٠) حلقة!!!».

وقال أيضًا:

«انطلقت رسالة عَمَّان الرائدة من عَمَّان الخير لتبصير المسلمين جميعًا بحقيقة دينهم العظيم ومبادئه الجليلة، انطلقت رسالة عَمَّان الماتعة من قلب بلاد الشَّام ترشيدها لمسيرة البشرية كلّها، وإنقاذًا لها من ظلمات الجور والبهتان، وتحقيقًا للأمن والأمان والإيمان والسلام على وجه هذه المعمورة، انطلقت هذه الرسالة المباركة من عَمَّان المحروسة للنهوض بالبشرية كلّها إلى مراقي الخير، والفلاح، والسَّعادة والرَّقِيّ، والحقّ والحقّ أقول: لقد كانت هذه الرسالة الرائدة على قدر عظيم من الحِكمة، والاعتدال، والدقّة، والمنهجية ممّا جعلها بحقّ وصدق: رسالة نور وهداية وسلام وسماحة في زمان اضطربت فيه العقول، وضلّت فيه الأفهام، وكثُرَت فيه الفتن والحروب والظلم فكانت دعوة راشدة متعلّلة...».

وقال: «رسالة عَمَّان المباركة قد تلقّاها العلماء والفضلاء والمفكّرون - ومن كافّة البلاد والبقاع - بالقبول والرّضا، وبيان ذلك بالبراهين السّاطعة أنّ هذه الرّسالة الماتعة عُرضت على عدد كبير من القادة والعلماء ورجال الفكر، بلغ عددهم أكثر من (٥٥٠) عالمٍ وقائدٍ سياسي من (٨٤) دولة، كلّهم وقّع على موافقة هذه الرّسالة للشرع المطهر، وأنها من أروع وأبدع ما كُتِبَ حول حقيقة الإسلام الحنيف...».

٤- علمًا أن الحلبي أثنى على كتاب: «إجماع المسلمين في احترام مذاهب الدين»، ونقل منه، مع أن الكتاب في حقيقته مرجعٌ وأساسه نصّ رسالة عَمَّان ومحاورها الثلاثة والقائمة الكاملة للموقّعين على المحاور الثلاثة، كما قال مؤلفه. وبعد هذا كله يأتي الحلبي ويتبرأ من وحدة الأديان في سلسلة مقالاتٍ له، ويدعي

أن من اتهمه قد ظلمه.

ويُبرر موقفه هذا بأن ما تضمنته رسالة عمان لا تدل على القول بوحدة الأديان. وهذه مغالطة واضحة؛ لأن العلماء الذين ردّوا على هذه الرسالة فهموا منها أنها تؤيد وحدة الأديان، وحرية الدين، وإليك بعض أقوال العلماء في ذلك:

ردود العلماء على رسالة عمان:

قال الشيخ ربيع بن هادي المدخلي - حفظه الله - معلقاً على رسالة عمان: «قولهم: (أصل الديانات الإلهية واحد) إذا ضمنت إليه قولهم: (مما يؤسس إيجاد قاعدة واسعة للالتقاء مع المؤمنين بالديانات الأخرى على صُعدٍ مشتركة) إذا ضمنت هذا إلى ذاك ظهر لك جلياً أنهم يقولون بوحدة الأديان، وأن قصدهم بالديانات الإلهية: الإسلام، واليهودية المحرفة، والنصرانية المحرفة، وغيرها من الأديان، ولا يجادل في هذا إلا مكابر، تجاوز أقصى حدود المكابرات والسفسطات. وقولهم: «دون مساس بالتميز العقدي والاستغلال الفكري» - اعتراف واضح بحرية الدين، ومساواة الأديان ودعوة صارخة إلى ذلك»^(٣٩).

الشيخ العلامة صالح الفوزان ينقد بعض مضامين رسالة عمان:

ورد سؤال في «دورة الإمام عبد العزيز بن باز العلمية (١٤٣١هـ) المقامة بالطائف» إلى سماحة شيخنا العلامة الدكتور صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء - حفظه الله ورعاه وجعل الجنة مثوانا ومثواه - في «لقائه المفتوح» بتاريخ (١٧/٨/١٤٣١هـ) فهناك أخي المبارك نصّ

(٣٩) كتب ذلك الشيخ الربيع (حفظه الله) في بيته وبقلمه تعليقاً على هذا البحث بتاريخ (٢٣/٤/١٤٣٢)

السؤال والجواب:

السؤال: أحسن الله إليكم، سائل يقول: وجدت هذه العبارة بإحدى الرسائل يقول: «أصل الديانات الإلهية واحد، والمسلم يؤمن بجميع الرسل، ولا يفرق بين أحد منهم، وإنّ إنكار رسالة أي واحد منهم خروج عن الإسلام، مما يؤسس إيجاد قاعدة واسعة للالتقاء مع المؤمنين بالديانات الأخرى على صعد مشتركة في خدمة المجتمع الإنساني دون مساس بالتميّز العقدي، والاستقلال الفكري». اهـ.

قلت: منقول بنصّه وفصّه (!) من (رسالة عمّان) دون زيادة أو نقصان (!!).

فكان جواب الشيخ - حفظه الله -: «هذا كلامٌ ضلالٌ والعياذ بالله!

نعم نحن نؤمن بجميع الرسل، وبجميع الكتب، لكنهم هم لا يؤمنون بجميع الرسل؛ يكفرون بعيسى وبمحمد ﷺ بالنسبة لليهود!!

بالنسبة للنصارى يكفرون بخاتم النبيين محمد ﷺ! ولا يؤمنون بالقرآن!!

فكيف نقول إنهم مؤمنون؟! وهم يكفرون ببعض الرسل؟! ويكفرون ببعض

الكتب!!!

هؤلاء ليسوا مؤمنين، ليسوا من المؤمنين، فهذا خلطٌ وتضليل للناس! يجب إنكاره»^(٤٠). انتهى جوابه. - جزاه الله خيرًا ونفع به الإسلام وأهله آمين.

دعوى التقارب بين الأديان هي جمع بين الكفر والإيمان:

رد الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله - أيضاً على هذه الرسالة^(٤١):

أكد فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان عضو اللجنة الدائمة

(٤٠) (منقول من شبكة سحاب السلفية).

(٤١) نقلًا من شبكة الأثرى السلفية بتاريخ (١١/١٢/٢٠٠٨).

للإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء أن الجمع بين الأديان، والتقارب بين الأديان جمع بين الكفر والإيمان وهو أمر محرم ولا يجوز، وقال فضيلته في رده على سؤال «للمسألة» عقب درسه بالمسجد الحرام حول الدعوة للتقارب بين الأديان من أجل خَلْقِ جو من التسامح والألفة بين الشعوب، قال الفوزان:

«بعد بعثة النبي ﷺ لا دين إلا دين هذا الرسول ﷺ الذي أمرهم الله باتباعه، أمر الجن والإنس واليهود والنصارى والأميين وسائر البشر أن يتبعوا هذا الرسول، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ، وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فلا دين بعد بعثة هذا الرسول ﷺ إلا دين الإسلام الذي جاء، به فلا يهودية، ولا نصرانية، ولا أي دين لا يقبله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فكيف نجمع بين كفر وإيمان؟! كيف تجمع بين من يقول: الله ثالث ثلاثة. أو: الله هو المسيح ابن مريم. ومن يقول: «لا إله إلا الله»!!!، كيف تجمع بين هذا وهذا؟! كيف تجمع بين من يقول: إن الله فقير ونحن أغنياء. كما قالت اليهود، ومن يقول: يدُ الله مغلولة. كيف تجمع بينه وبين مسلم موحد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟!!!

فعلى هؤلاء أن يتقوا الله وأن يعرفوا دينهم وأن يتركوا هذه الدعوات المضللة، وأن ينشروا في الناس أنه لا دين إلا دين محمد ﷺ، قال ﷺ: «لا يسمع بي يهودي ولا نصراني، ثم لا يؤمن بالذي جئت به إلا دخل النار»، قال ﷺ: «لو كان أخي موسى حياً ما وسعته إلا اتباعي»، لو كان موسى عليه السَّلام حياً ما وسعته إلا اتباع الرسول ﷺ فكيف بغيره؟!!! فكيف يُجمع بين الأديان الكفرية، والدين الصحيح؟!!!

هذا مستحيل.

وأما زيارتهم للدعوة إلى الله لعلهم يسلمون فلا بأس أن يزاروا لأجل الدعوة إلى الله، وشرح الإسلام لهم لعلهم يسلمون فلا بأس بذلك، أما زيارتهم للاستئناس معهم وإقرارهم على ما هم عليه من الكفر وموافقتهم، فهذا محرم لا يجوز». اهـ.

• جواب الشيخ عبد المحسن العباد - حفظه الله - عن بعض ما تضمنته رسالة

عمان:

سُئِلَ سماحة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر - حفظه الله - عن هذا الموضوع فأجاب فضيلته يوم الأربعاء (٥/٦/١٤٣١):

السؤال الأول: يقول وجدت هذه العبارة تقول: «أصل الديانات الإلهية واحد، والمسلم يؤمن بجميع الرسل، ولا يفرق بين أحد منهم، وإنّ إنكار رسالة أي واحد منهم خروج عن الإسلام، مما يؤسس إيجاد قاعدة واسعة للالتقاء مع المؤمنين بالديانات الأخرى على صعد مشتركة في خدمة المجتمع الإنساني دون مساس بالتميّز العقدي، والاستقلال الفكري».

جواب الشيخ - حفظه الله - : «الكلام الأول جميل والكلام الأخير خبيث، أوله حسن وآخره سيئ، يعني: كون الرسل ديانتهم واحدة، وأنهم يدعون إلى التوحيد، وأنه يجب الإيمان بكل واحد منهم، وأن من كفر بواحد فهو كافر بالجميع، هذا كله حق، وأما هذا الكلام الذي يقول فيه بالتقاء الديانات بعد بعثة نبينا محمد ﷺ ليس في دين حق إلا دين الإسلام، ولا يجوز أن يعتقد بأن هناك ديناً موجوداً الآن يعني يتبعه غير المسلمين هو حق، بل الشرائع كلها نُسخَتْ ببعثته ﷺ، كما قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٍّ، أو نصرانيٍّ،

ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلتُ به إلا كان من أصحاب النار»^(٤٢)، وقال: «ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي»^(٤٣). وعيسى إذا نزل في آخر الزمان يحكم بشريعة الرسول ﷺ ولا يحكم بالإنجيل، الشرائع انتهت بعد بعثته ﷺ، ليس لها وجود الآن، لكن يعني جاء بما يتعلق بأهل الكتاب أنهم يعاملون معاملة خاصة؛ لأن لهم أصل دين؛ فإذا أعطوا الجزية فإنهم يبقون تحت ولاية المسلمين لأن ذلك من أسباب دخولهم في الإسلام، أما كونه يقال: إن الديانات بعد بعثة الرسول ﷺ كلها حق وأنها معتبرة وأنه لا فرق بينها، فهذا الكلام من أبطل ما يكون، ومن أقبح ما يكون».

السؤال الثاني يوم الجمعة ٧/٦/١٤٣١: «هذا يقول: ما رأيكم في هذا القول «إن كل من يتبع أحد المذاهب الأربعة من أهل السنة والجماعة؛ الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي» والمذهب الجعفري، والمذهب الزيدي، والمذهب الإباضي، والمذهب الظاهري، فهو مسلم، ولا يجوز تكفيره. ويحرم دمه وعرضه وماله» وهذا يتناول المذاهب الفقهية والعقدية؟ جواب الشيخ - حفظه الله -: «المعول عليه ما جاء في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، فإذا كان الإنسان على هذا المنهج، وعلى هذه الطريقة متبعاً لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهو على خير»، «ثم إنها أقيمت صلاة العشاء» فقال لي الشيخ بعدها: «هذا كلام سيئ للغاية لا ينبغي التهوين من أمر أهل البدع!! وإن زعموا التعايش!!»^(٤٤).

(٤٢) سبق تخريجه.

(٤٣) أخرجه أحمد (٣ / ٣٨٧)، قال الشيخ الألباني: (حسن).

(٤٤) منقول من شبكة سحاب من مقال للأخ الفاضل آل العميسان بعنوان: قال شيخنا عبد المحسن

شُبْهَةٌ وَجَوَابُهَا:

هنا شبهة تدور على السنة بعض من تأثر بالشبه الجديدة التي تتضمن الطعن على العلماء:

قالوا: لماذا لم يُكفر الشيخ ربيع علي الحلبي واكتفى بالتبديع إذا كان قائلاً بوحدة الأديان:

الجواب:

أن يقال لهم: إن هذه الشبهة داحضة، وهي أوهن من بيت العنكبوت؛ لأنها قائمة على التشويش والمجادلة بالباطل:

شُبْهَةٌ تَهَاوَتْ كَالزَّجَاجِ تَخَالُهَا حَقٌّ وَكُلٌّ كَاسِرٌ مَكْسُورٌ^(٤٥)

وكان القوم أفلسوا فليس عندهم إلا هذه الشبهة الداحضة التي يرددونها كاللبغاوات، وليسوا يعرفون منها شيئاً إلا التقليد الأعمى لمن قالها أولاً وهو يعلم بطلانها في قرارة نفسه، ولكنه الجدال بالباطل الذي حذر منه النبي ﷺ، فعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَوْتُوا الْجِدَلَ»، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿مَا ضَرِيئُكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]^(٤٦)، فأين الأصول والقواعد في هذا الباب، أم هي المكابرة بالباطل؟ وأين العدل والقسط بين الناس؟! قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

العَبَادُ عَنْ: وَحْدَةِ الْأَدْيَانِ وَحَرِيَةِ التَّدِينِ.

(٤٥) طريق المهجرتين لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ ص (٢٤٧).

(٤٦) رواه الترمذي في أول الكتاب رقم (٢٥٩٣)، ورواه ابن ماجه رقم (٤٥)، وحسنه الألباني.

ويُقال أيضاً:

أولاً: لا تُسرِعوا بالرجل إلى الهلاك.

ثانياً: أن العلماء لا يحكمون بالهوى والعصبية وإنما يحكمون بالشرع، يقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «العلم بكفرهم «أي المعين» العلماء الذين يقررونه»^(٤٧).

ثالثاً: إن الحكم بالتكفير لا بد فيه من تحقق الشروط وانتفاء الموانع، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فإن التكفير المطلق مثل الوعيد المطلق، لا يستلزم تكفير الشخص المعين حتى تقوم عليه الحُجَّة التي تكفر تاركها»^(٤٨).

رابعاً: إن العلماء يتعدون عن الحكم بالتكفير ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ يقول: «ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية والنُّفَاة الذين نفوا أن الله تعالى فوق العرش لما وقعت محنتهم: أنا لو وافقتكم كنت كافراً؛ لأني أعلم أن قولكم كفر، وأنتم عندي لا تكفرون؛ لأنكم جهال. وكان هذا خطاباً لعلمائهم وقضاتهم وشيوخهم وأمرائهم، وأصل جهلهم شبهات عقلية حصلت لرءوسهم في قصور من معرفة المنقول الصحيح والمعقول الصريح الموافق له، وكان هذا خطابنا»^(٤٩).

وهذا هو موقف العلماء جميعاً المتقدمين والمتأخرين، ومنهم العلماء المعاصرين من أمثال: الشيخ ابن باز، والألباني، وابن العثيمين، وغيرهم من علمائنا الأكابر، فالشيخ ابن باز رد على الطنطاوي في هذه القضية، وهي وحدة الأديان ومع هذا

(٤٧) فتاوى العلماء الأكابر عبد المالك رمضان.

(٤٨) الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيمية ص (١٦٤).

(٤٩) الرد على البكري لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ الجزء الثاني ص (٤٩٤).

لم يكفره.

والشيخ ربيع رد على سيد قطب وله أقوال شنيعة ومنها أنه يقول عن الإسلام: «إنه يصوغ من الشيوعية والمسيحية مزيجاً كاملاً يتضمن أهدافهما ويزيد عليهما بالتناسق والاعتدال»^(٥٠). إلى غير ذلك من الضلال. ومع هذا لم يكفره.

خامساً: إن الشيخ ربيع - حفظه الله - قال: إنني لم أقل أن علي الحلبي قال بوحدة الأديان وإنما دافع وأثنى على رسالة عمان وهي تتضمن الدعوة إلى وحدة الأديان^(٥١).

وسادساً: أن يقال: إن هذا سوء أدب مع العلماء وتجنّ عليهم وإلزام لهم بلوازم باطلة، لا وجود لها في كلامهم.

هذا ونسأل الله تعالى أن يعيذنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.



(٥٠) الحد الفاصل للشيخ ربيع ص (١).

(٥١) قال ذلك الشيخ في مجلس في بيته مساء الأحد ٢٢/٤/١٤٣٢.

الفصل الرابع

فتاوى العلماء الأكابر في الرد على الدعوة إلى وحدة الأديان

فتوى اللجنة الدائمة رقم (١٩٤٠٢) بتاريخ (١٤١٨/١/٢٥) هـ:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء استعرضت ما ورد إليها من تساؤلات، وما ينشر في وسائل الإعلام من آراء، ومقالات بشأن الدعوة إلى «وحدة الأديان»: دين الإسلام، ودين اليهودية، ودين النصراني، وما تفرع عن ذلك من دعوة إلى بناء مسجد وكنيسة ومعبد في محيط واحد، في رحاب الجامعات والمطارات، والساحات العامة، ودعوة إلى طباعة القرآن الكريم والتوراة والإنجيل في غلاف واحد، إلى غير ذلك من آثار هذه الدعوة، وما يعقد لها من مؤتمرات، وندوات، وجمعيات في الشرق والغرب.

وبعد التأمل والدراسة فإن اللجنة تقرر ما يلي:

أولاً: إن من أصول الاعتقاد في الإسلام، المعلومة من الدين بالضرورة، والتي أجمع عليها المسلمون: أنه لا يوجد على وجه الأرض دين حق سوى دين الإسلام، وأنه خاتمة الأديان، وناسخ لجميع ما قبله من الأديان، والملل، والشرائع، فلم يبق على وجه الأرض دين يتعبد الله به سوى الإسلام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا

فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥]، والإسلام بعد بعثة محمد ﷺ هو ما جاء به دون ما سواه من الأديان.

ثانيًا: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام: أن كتاب الله تعالى: «القرآن الكريم» هو آخر كتب الله نزولاً وعهداً برب العالمين، وأنه ناسخ لكل كتاب أنزل من قبل؛ من التوراة، والزبور، والإنجيل، وغيرها، ومهيمن عليها، فلم يبق كتاب منزل يتعبد الله به سوى القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

ثالثًا: يجب الإيمان بأن التوراة والإنجيل قد نُسخَا بالقرآن الكريم، وأنه قد لحقهما التحريف والتبديل بالزيادة والنقصان، كما جاء بيان ذلك في آيات من كتاب الله الكريم، منها قول الله تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضَهُمْ مِّيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣]، وقوله جلَّ وعلا: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨]، ولهذا فما كان منها صحيحًا فهو منسوخ بالإسلام، وما سوى ذلك فهو محرف، أو مبدل، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه غضب حين رأى مع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صحيفة فيها شيء من التوراة، وقال ﷺ: «أفي شك أنت يا ابن

الخطاب؟ ألم آت بها بيضاء نقية؟! لو كان أخى موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعي» (٥٢).

رابعًا: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام: أن نبينا ورسولنا محمدًا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، كما قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فلم يبق رسول يجب اتباعه سوى محمد ﷺ، ولو كان أحد من أنبياء الله ورسله حيًّا لما وسعه إلا اتباعه ﷺ، وإنه لا يسع أتباعهم إلا ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]، ونبي الله عيسى عليه السلام إذا نزل في آخر الزمان يكون تابعًا لمحمد ﷺ، وحاكمًا بشريعته، وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحْدِلُ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، كما أن من أصول الاعتقاد في الإسلام أن بعثة محمد ﷺ عامّة للناس أجمعين، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وغيرها من الآيات.

خامسًا: ومن أصول الإسلام: أنه يجب اعتقاد كفر كل من لم يدخل في الإسلام من اليهود، والنصارى، وغيرهم، وتسميته كافرًا ممن قامت عليه الحجة، وأنه عدوٌّ

الله ورسوله والمؤمنين، وأنه من أهل النار، كما قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۖ﴾ [البينة: ١]، وقال جلَّ وعَلَا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۖ﴾ [البينة: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأَتَذْكُرَكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ۖ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ ۖ﴾ [إبراهيم: ٥٢] الآية، وغيرها من الآيات. وثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة: يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار». ولهذا فمن لم يكفر اليهود والنصارى فهو كافر، طردًا لقاعدة الشريعة: «من لم يكفر الكافر بعد إقامة الحجة عليه فهو كافر».

سادسًا: وأمام هذه الأصول الاعتقادية والحقائق الشرعية، فإن الدعوة إلى «وحدة الأديان»، والتقارب بينها، وصهرها في قالب واحد - دعوة خبيثة مأكرة، والغرض منها خلط الحق بالباطل، وهدم الإسلام وتقويض دعائمه، وجر أهله إلى ردة شاملة، ومصدق ذلك في قول الله سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا ۖ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقوله جلَّ وعَلَا: ﴿وَدُّوا لَوْ تُكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۖ﴾ [النساء: ٨٩].

سابعًا: وإن من آثار هذه الدعوة الآثمة إلغاء الفوارق بين الإسلام والكفر، والحق والباطل، والمعروف والمنكر، وكسر حاجز النفرة بين المسلمين والكافرين، فلا ولاء، ولا براء، ولا جهاد، ولا قتال لإعلاء كلمة الله في أرض الله، والله جل وتقدس يقول: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ

يَدٍ وَهُمْ صَغُرُونَ ﴿٢٩﴾ [التوبة: ٢٩]، ويقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقِيلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقُولُونَكُمْ كَافَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ [التوبة: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْخِذُوا بِطَانَةٍ مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْتُونُكُمْ خَبَالًا وَدُوًّا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١١٨﴾ [آل عمران: ١١٨].

ثامناً: إن الدعوة إلى «وحدة الأديان» إن صدرت من مسلم فهي تعتبر ردة صريحة عن دين الإسلام؛ لأنها تصطدم مع أصول الاعتقاد، فترضى بالكفر بالله عزَّ وجلَّ، وتبطل صدق القرآن ونسخه لجميع ما قبله من الشرائع والأديان، وبناء على ذلك فهي فكرة مرفوضة شرعاً، محرمة قطعاً بجميع أدلة التشريع في الإسلام من قرآن، وسنة، وإجماع.

تاسعاً: وبناء على ما تقدم:

فإنه لا يجوز لمسلم يؤمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً الدعوة إلى هذه الفكرة الآثمة، والتشجيع عليها، وتسليكها بين المسلمين، فضلاً عن الاستجابة لها، والدخول في مؤتمراتها وندواتها، والالتقاء إلى محافلها.

لا يجوز لمسلم طباعة التوراة، والإنجيل منفردين، فكيف مع القرآن الكريم في غلاف واحد؟! فمن فعله أو دعا إليه فهو في ضلال بعيد؛ لما في ذلك من الجمع بين الحق: «القرآن الكريم»، والمحرف، أو الحق المنسوخ: «التوراة والإنجيل».

كما لا يجوز لمسلم الاستجابة لدعوة «بناء مسجد وكنيسة ومعبد» في مجمع واحد؛ لما في ذلك من الاعتراف بدين يعبد الله به غير دين الإسلام، وإنكار ظهوره على الدين كله، ودعوة مادية إلى أن الأديان ثلاثة لأهل الأرض التدين

بأيٍّ منها، وأنها على قدم التساوي، وأن الإسلام غير ناسخ لما قبله من الأديان، ولا شك أن إقرار ذلك واعتقاده، أو الرضا به كفر وضلال؛ لأنه مخالفة صريحة للقرآن الكريم والسُّنة المطهرة وإجماع المسلمين، واعتراف بأن تحريفات اليهود والنصارى من عند الله - تعالى الله عن ذلك، كما أنه لا يجوز تسمية الكنائس: «بيوت الله»، وأن أهلها يعبدون الله فيها عبادة صحيحة مقبولة عند الله؛ لأنها عبادة على غير دين الإسلام، والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٨٥) [آل عمران: ٨٥]، بل هي بيوت يكفر فيها بالله، نعوذ بالله من الكفر وأهله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (٢٢ / ١٦٢): «ليست - البيع والكنائس - بيوتاً لله، وإنما بيوت الله المساجد، بل هي بيوت يكفر فيها بالله، وإن كان قد يذكر فيها، فالبيوت بمنزلة أهلها، وأهلها الكفار، فهي بيوت عبادة الكفار».

عاشراً: ومما يجب أن يعلم: أن دعوة الكفار بعامّة، وأهل الكتاب بخاصّة إلى الإسلام واجبة على المسلمين، بالنصوص الصريحة من الكتاب والسُّنة، ولكن ذلك لا يكون إلا بطريق البيان والمجادلة بالتي هي أحسن، وعدم التنازل عن شيء من شرائع الإسلام، وذلك للوصول إلى قناعتهم بالإسلام، ودخولهم فيه، أو إقامة الحجة عليهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٦٤) [آل عمران: ٦٤]. أما مجادلتهم واللقاء معهم ومحاورتهم لأجل النزول عند رغباتهم، وتحقيق أهدافهم، ونقض عُرى الإسلام، ومعاقدة الإيَّان فهذا باطل

يأباه الله، ورسوله، والمؤمنون، والله المستعان على ما يصفون، قال تعالى: ﴿وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

وإن اللجنة إذ تقرر ما تقدم ذكره وتبينه للناس؛ فإنها توصي المسلمين بعامة، وأهل العلم بخاصة بتقوى الله تعالى ومراقبته، وحماية الإسلام، وصيانة عقيدة المسلمين من الضلال ودعائه، والكفر وأهله، وتحذيرهم من هذه الدعوة الكفرية الضالة: «وحدة الأديان»، ومن الوقوع في حبالها، ونعيذ بالله كل مسلم أن يكون سبباً في جلب هذه الضلالة إلى بلاد المسلمين، وترويحها بينهم. نسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعيذنا وجميع المسلمين من مضلات الفتن، وأن يجعلنا هداة مهتدين، حُماة للإسلام على هدى ونور من ربنا حتى نلقاه وهو راضٍ عنا. وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

(الرئيس): الشيخ / عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ.

(نائب الرئيس): الشيخ / عبد العزيز آل الشيخ.

(عضو): الشيخ / بكر عبد الله أبو زيد.

(عضو): الشيخ / صالح بن فوزان الفوزان.

فتوى الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

«لا أخوة بين المسلمين والكافرين ولا دين حق غير دين الإسلام»^(٥٣).

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

(٥٣) نُشرت في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة / العدد الرابع / السنة السابعة في ربيع الآخر

أما بعد: فقد نشرت صحيفة عكاظ في عددها (٣٠٣١) الصادر بتاريخ (٧ / ٨ / ١٣٩٤ هـ) خبراً يتعلق بإقامة صلاة الجمعة في مسجد قرطبة، وذكرت فيه أن الاحتفال بذلك يعد تأكيداً لعلاقات الأخوة والمحبة بين أبناء الديانتين: الإسلام والمسيحية. انتهى المقصود. كما نشرت صحيفة أخبار العالم الإسلامي في عددها (٣٩٥) الصادر بتاريخ (٢٩ / ٨ / ١٣٩٤ هـ) الخبر المذكور وذكرت ما نصه: «ولا شك أن هذا العمل يعتبر تأكيداً لسماحة الإسلام وأن الدين واحد» إلى آخره.

ونظراً إلى ما في هذا الكلام من مصادمة الأدلة الشرعية الدالة على أنه لا أخوة ولا محبة بين المسلمين والكافرين، وإنما ذلك بين المسلمين أنفسهم، وأنه لا اتحاد بين الدينين الإسلامي، والنصراني؛ لأن الدين الإسلامي هو الحق الذي يجب على جميع أهل الأرض المكلفين اتباعه، أما النصرانية فكفر وضلال بنص القرآن الكريم، ومن الأدلة على ما ذكرنا قول الله سبحانه في سورة الحجرات: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠] الآية، وقول الله عَزَّوَجَلَّ في سورة الممتحنة: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [الممتحنة: ٤] الآية، وقوله سبحانه في سورة المجادلة: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقوله تعالى في سورة التوبة: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١] الآية، وقوله سبحانه

في سورة المائدة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١]، وقوله عَزَّوَجَلَّ في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَأَسْلَمُوا﴾ [آل عمران: ١٩] الآية، وقوله تعالى في السورة المذكورة: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقوله عَزَّوَجَلَّ في سورة المائدة: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢] الآية، وقوله سبحانه في سورة المائدة أيضًا: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [المائدة: ٧٣] الآية، وقوله تعالى في سورة الكهف: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٢﴾ الَّذِينَ صَدَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكَايَتُ رَبَّهُمْ وُلُقَاءِهِمْ فَنُحِطُّ بِأَعْمَالِهِمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٥]، وقول النبي ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله ولا يكذبه»^(٥٤) والحديث رواه مسلم، ففي هذه الآيات الكرييات، والحديث الشريف وما جاء في معنى ذلك من الآيات والأحاديث ما يدل دلالة ظاهرة على أن الأخوة والمحبة إنما تكون بين المؤمنين أنفسهم.

أما الكفار فيجب بغضهم في الله، ومعاداتهم فيه سبحانه، وتحرم موالاتهم وتوليهم حتى يؤمنوا بالله وحده ويدعوا ما هم عليه من الكفر والضلال، كما دلت الآيات الأخيرة على أن الدين الحق هو دين الإسلام الذي بعث الله به نبيه محمداً ﷺ وسائر المرسلين، وهذا هو معنى قول النبي ﷺ: «نحن معاصر الأنبياء

(٥٤) رواه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٦٤)، مسند أحمد بن حنبل (٢/ ٢٧٧).

ديننا واحد»^(٥٥). أما ما سواه من الأديان الأخرى سواء كانت يهودية، أو نصرانية أو غيرهما فكلها باطلة، وما فيها من حق فقد جاءت شريعة نبينا محمد ﷺ به، أو ما هو أكمل منه؛ لأنها شريعة كاملة عامة لجميع أهل الأرض، أما ما سواها فشرائع خاصة نُسخَتْ بشريعة محمد ﷺ التي هي أكمل الشرائع وأعمُّها وأنفعها للعباد في المعاش والمعاد، كما قال الله سبحانه يخاطب نبيه محمداً ﷺ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] الآية، وقد أوجب الله على جميع المكلفين من أهل الأرض اتباعه والتمسك بشرعه، كما قال تعالى في سورة الأعراف بعد ذكر صفة محمد ﷺ: ﴿قَالِذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ثم قال عزَّجَلَّ بعدها: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فنفى الإيمان عن جميع من لم يحكمه، فقال سبحانه في سورة النساء: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وحكم على اليهود والنصارى بالكفر والشرك من أجل نسبتهم الولد لله سبحانه، واتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله عزَّجَلَّ بقوله تعالى في سورة التوبة:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزُّنَا ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُمْ اللَّهُ أَفَ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٠ - ٣٣]، ولو قيل أن هذا الاحتفال يعتبر تأكيداً لعلاقات التعاون بين أبناء الديانتين فيما ينفع الجميع، لكان ذلك وجيهاً ولا محذور فيه، ولواجب النصح لله ولعباده رأيت التنبيه على ذلك؛ لكونه من الأمور العظيمة التي قد تلتبس على بعض الناس.

فتوى الشيخ العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:

سُئِلَ فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: عن وصف الكافر بأنه أخ^(٥٦).

فأجاب بقوله: لا يحل للمسلم أن يصف الكافر أيًّا كان نوع كفره سواء كان نصرانيًّا، أم يهوديًّا، أم مجوسيًّا، أم ملحدًا، لا يجوز له أن يصفه بالأخ أبدًا، فاحذر يا أخي مثل هذا التعبير؛ فإنه لا أخوة بين المسلمين وبين الكفار أبدًا، الأخوة هي الأخوة الإيمانية كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. وإذا كانت قرابة النسب تنتفي باختلاف الدين فكيف تثبت الأخوة مع اختلاف الدين

وعدم القرابة؟ قال الله عَزَّجَلَّ عن نوح، وابنه لما قال نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ إِنِّي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكِيمِينَ﴾ (٤٥) قَالَ يَنْوَحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَّخِذْ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ (هود: ٤٥ - ٤٦).

فلا أخوة بين المؤمن والكافر أبداً، بل الواجب على المؤمن ألا يتخذ الكافر ولياً، كما قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المتحنة: ١].

فمن هم أعداء الله؟ أعداء الله هم الكافرون.

قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (١٨) [البقرة: ٩٨]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥١) [المائدة: ٥١].

وسئِل أيضاً: فضيلة الشيخ، هناك من يدعو إلى التقريب بين الأديان، ويدعي أن أهل الإسلام، واليهود، والنصارى متفقون على أصل التوحيد، هل يحكم بكفره، وما رأيك بهذا الأمر؟

الجواب: أنا أرى أن هذا كافر، الذي يرى أن الدين الإسلامي، واليهود والنصارى متفقون على التوحيد، كافر مكذب لله ورسوله، وإذا كان يرى أن النصارى الذين يقولون: إن الله ثالث ثلاثة. أنهم موحدون فهو غير موحد؛ لأنه رضي بالكفر والشرك، وكيف يتفق من يقول: إن عيسى ابن الله، وعزير ابن الله، ومن يقول: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]؟! ولهذا أقول لهذا الرجل:

تُبَّ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ؛ لَأَن هَذِهِ رِدَّةٌ يَبَاحُ بِهَا دَمُكَ وَمَالُكَ، وَيَنْفَسَخُ بِهَا نِكَاحُكَ، وَإِذَا مِتَّ فَلَا كِرَامَةَ لَكَ، تُرْمَى فِي حَفْرَةٍ؛ لَثَلَا يَتَأَذَى النَّاسُ بِرَائِحَتِكَ، وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَن يَسْتَغْفِرَ لَكَ إِذَا مِتَّ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ، حَتَّى إِنْ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ لَا يُؤْمِنُ - أَوْ قَالَ: لَا يَتَّبِعُ مَا جِئْتُ بِهِ - إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»^(٥٧). الْأَدْيَانُ السَّمَاوِيَّةُ هِيَ أَدْيَانُ مَا دَامَتْ بَاقِيَةً، فَإِذَا نُسِخَتْ فَلَيْسَتْ بِأَدْيَانٍ، فَالْيَهُودُ حِينَ كَانَتْ شَرِيعَةُ مُوسَى قَائِمَةً وَهُمْ مُتَّبِعُونَ لَهَا هُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَالنَّصَارَى حِينَمَا كَانَتْ شَرِيعَةُ عِيسَى قَائِمَةً وَهُمْ مُتَّبِعُونَ لَهَا هُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، لَكِنْ بَعْدَ بَعْثَةِ الرَّسُولِ ﷺ صَارُوا كُلُّهُمْ كُفَّارًا، لَا يَقْبَلُ عَمَلُهُمْ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

رَأَى الشَّيْخُ الْعَلَامَةُ عَبْدُ الْعَزِيزِ آلُ الشَّيْخِ مَفْتِي السَّعُودِيَّةِ - حَفَظَهُ اللَّهُ -:
السُّؤَالُ: هُنَاكَ رِسَالَةٌ تَدْعُو إِلَى التَّقَارُبِ بَيْنَ الْأَدْيَانِ بِعَنْوَانٍ: «رِسَالَةُ عِمَانٍ»
هَلْ طَالَعْتُمْ هَذِهِ الرِّسَالَةَ؟ الْجَوَابُ: «مَا قَرَأْتُهَا، لَكِنْ مَا نَعْتَقِدُهُ وَنَدِينُ اللَّهُ بِهِ؛ أَنِ شَرِيعَةُ مُحَمَّدٍ خَاتَمُ الشَّرَائِعِ، وَأَنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ خَاتَمُ كُلِّ الْأَدْيَانِ، وَأَنَّ اللَّهَ نَسَخَ بِشَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ جَمِيعَ الشَّرَائِعِ، وَأَلْزَمَ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ عَرَبِيَّةً وَعَجَمِيَّةً، جَنَّهُمْ وَإِنْسَهُمْ؛ أَلْزَمَهُمْ بِاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَطَاعَتِهِ وَالْانضِواءَ تَحْتَ لَوَائِهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْبَسِيطَةِ دِينَ حَقٍّ إِلَّا مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ، وَجَمِيعَ الدِّيَانَاتِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ - عَدَا الْإِسْلَامَ - كُلُّهَا بَاطِلَةٌ وَأَهْلُهَا ضَلَالٌ إِنْ لَقُوا اللَّهَ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ دَخَلُوا النَّارَ،

يقول ﷺ: «لا يسمع بي من هذه الأمة»^(٥٨) يهودي ولا نصراني، ثم لا يؤمن بما جئت به إلا كان من أصحاب النار»^(٥٩). فالتقارب دعوى... كيف تقارب؟ حق يقارب باطل؟ لا! نحن معهم على طرفي نقيض، ونؤمن برسائل الأنبياء كلهم، وأن محمدًا خاتمهم، لا نبي بعده ولا شريعة بعده، وأولئك يقولون: نحن على شريعة موسى أو عيسى؟ لا! «ما في تقارب! لأننا على حق وهم على باطل، بلا شك! يجب أن يقبلوا الحق: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ أي تقارب؟! أكون متقاربًا لمن دينه غير دين الله! أنا لا أرضى أي دين غير الإسلام، وأعتقد أن كل الديانات باطلة ملغاة، لا حكم لها، إنما الحكم لما جاء به محمد ﷺ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٦٠). اهـ.

فتوى الشيخ العلامة صالح اللحيدان :

أحسن الله إليكم وهذا أبو حذيفة من المغرب يقول: سماحة الشيخ - أحسن الله إليكم - وبارك فيكم هناك بعض الرسائل التي خرجت تدعو إلى التقارب بين الأديان، فما هو الكلام الشرعي حول ذلك جزاكم الله خيرًا؟

الجواب:

«الله يقول جَلَّ وَعَلَا لِنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَنْ رَضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَانِي حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وينبغي للمسلمين أن لا يكونوا مخدوعين، ينبغي أن يكونوا إن حكموا عدلوا، أن يتجنبوا الظلم، وأن يحسنوا العدل فيمن يكونون تحت ولايتهم.

(٥٨) يعني: أمة الدعوة (ابن عثيمين).

(٥٩) رواه مسلم في باب وجوب الإيذان برسالة نبينا ﷺ رقم (٢٤٠).

وأما التقارب بين الأديان يقال لهم: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ٦٤]، إذا عبدوا الله وحده ولم يشركوا به شيئاً دخلوا في دين الإسلام؛ لأنه لا يمكن أن يعبدوا الله عبادةً حقة، ولا يشركون به شيئاً أبداً إلا بالإسلام؛ لأنهم من بعثة محمد ﷺ وظهور رسالته صار لا يسع أي يهودي، أو نصراني إلا أن يسلم، أو يدخل النار.

ومسألة التقريب: ليس هناك تقريب بين الأديان إنما هو الدين الحق، والدين الباطل، لكن صاحب الدين الحق عليه أن يرفق بالناس ويحسن الدعوة وأن يدعوهم؛ لأنهم إذا تابوا عما هم عليه من الضلال أن الله يقبل التوبة، وأن التوبة تمحو كل ذنب بين العبد، وبين ربه إذا تاب منها، وما بينه وبين العباد فهذا أمره خاضع للمقاضاة^(٦٠). اهـ.

مقال الشيخ ربيع - حفظه الله - : «الدَّبُّ عَنْ رسالة محمد ﷺ» :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد :

فقد اطلعت على تصريح نشرته جريدة المدينة (العدد / ١٥٦٤٠) في ملحقتها المسمى 'بالرسالة في يوم الجمعة (١٨/ محرم/ ١٤٢٧هـ)، الموافق (١٧/ فبراير/ ٢٠٠٦م). للمفكر الدكتور أحمد كمال أبو المجد نائب رئيس المجلس القومي لحقوق الإنسان، تحت عنوان: «احترام الأديان ضرورة وعلى الغرب التخلص من معاداة الإسلام».

ومما قاله في هذا التصريح:

أولاً: - قوله: «بضرورة فتح مجالات مختلفة، وحديثة للحوار بين الإسلام

(٦٠) شرح عمدة الأحكام (كتاب الحج - حديث ابن عمر) بتاريخ (١٠/ ١١/ ١٤٣١).

والديانات الأخرى من خلال المفكرين، والعلماء، والباحثين من أجل التقارب وحل المشكلات، والاختلافات.

نسأل نائب رئيس المجلس القومي:

- ١- ما هي المجالات المختلفة التي تدعو إلى فتحها؟ وما المراد بقولك: حديثة؟ وهل نصوص القرآن والسنة تدخل في هذه المجالات الحديثة؟
- ٢- وما هي القواعد والأصول والضوابط التي يتحتم الرجوع إليها في القضايا الكبرى التي يختلف فيها أهل الديانات وتدور حواراتهم حولها؟
- ٣- ما هو التقارب الذي تدعو إليه؟ بينه لنا!

ليدرك المسلمون هل الإسلام كتاباً وسنة وإجماعاً يسلم به ويقره، أو يرفضه لأنه باطل - ولا يكون إلا كذلك -؟ لأنه لا يمكن إلا بالتنازل عن نصوص لا تخصي من الكتاب والسنة، وعن أصول من الضروري في الإسلام التمسك بها والثبات عليها.

ثانياً: - قوله: «إن الحوار يفتح الطريق أمام أهل الديانات السماوية في العالم للتعاون والحوار الهادئ البناء من خلال أنشطة مختلفة، ومشاركة لمحاربة الأخطار التي تتعرض لها الإنسانية، ومواجهة العنف والإرهاب ومشاكل ازدياد الأديان».

أقول: إن المسلمين يؤمنون بكل الأنبياء، وكل الكتب التي أنزلت عليهم من السماء، وذلك من أركان دينهم التي من أجل بواحد منها لا يكون مؤمناً أبداً، ومن هذه الكتب «التوراة» التي أنزلها الله على موسى، و«الإنجيل» الذي أنزله الله على عيسى - عليهما الصلاة والسلام -، ونحن نسأل الدكتور أحمد كمال:

- ١- هل اليهود يؤمنون بمحمد وعيسى - عليهما الصلاة والسلام - و«بالقرآن» المنزل على محمد ﷺ، و«بالإنجيل» المنزل على عيسى ﷺ؟ أو هم كافرون جاحدون

بمحمّد، وبما أنزل عليه؟

ما إخال الدكتور ومن يسير على دربه إلا أنهم سيترفون بأن كلّاً من اليهود والنصارى قد كفروا بمحمّد ورسالته السماوية، وأن اليهود قد كفروا بعيسى ورسالته السماوية.

وإذا كان هذا هو واقع أتباع الديانات؛ فما هو المرجع الذي يرجعون إليه في حل الخلافات العقائدية التي هي أساس كل الخلافات، والعداوات، والحروب؟ وما هو المرجع أيضاً في سائر الخلافات من سياسية، واجتماعية، واقتصادية... إلخ.

٢- هل يعرف الدكتور أو يعترف بأن كلّاً من اليهود والنصارى قد كفروا بما في التوراة والإنجيل من توحيد الله، وإخلاص الدين له، وتنزيهه عن الشركاء والأنداد، فجعلوا الله أبناءً وأنداداً وشركاء؟!!

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَسَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْكَبًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهُ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة: ٣٠ - ٣٢].

٣- وهل يعترف بأن اليهود، والنصارى قد كفروا كذلك بما في الكتابين من وجوب الإيمان بمحمّد ﷺ، ورسالته، ووجوب اتباعه، بل تعدوا ذلك إلى الطعن فيه، وتشويهه، والطعن في رسالته وشن الحروب على أتباعه، حسداً منهم وعداوة وبغضاً؟!!

٤- هل يعترف الدكتور بما جاء في القرآن والسنة من تحريف اليهود والنصارى

للتوراة والإنجيل والتلاعب بكثير من نصوصهما في التوحيد وغيره؟

٥- وهل يعرف ما سجله عليهم علماء الإسلام من كفر، وشرك، وتحريف في

دواوين معروفة؟ بل بعض علماء النصارى يدينونهم بالتحريف!!

وإذا كان الأمر كذلك، فهل يصح شرعاً وعقلاً قوله عن اليهود والنصارى:

إنهم من أهل الديانات السماوية؟ أي: إنهم على دين سماوي يقف مع الإسلام

المحفوظ كتابه - الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - وبيانه السُّنة

من التحريف والتبديل.

ثالثاً: - قال الدكتور أحمد خلال استقبله لوفد مجلس الشيوخ الأسباني: « إن

الاحترام بين الديانات، ومقدساتها ضرورة ملحة، وضمان لحقوق الأقليات

الدينية، وحرية الاعتقاد وممارسة الشعائر الدينية والتخلص من ظاهرة معاداة

الإسلام والتهجم على شخص الرسول والمسلمين المقيمين في أوروبا».

أقول:

لا أدري عن هذا الوفد الأسباني هل جاء لمقابلة الدكتور وحده أو قصده بالزيارة

مع آخرين يحملون اتجاه الدكتور!، ولا ندري عن أهداف هذا الوفد!، وكيف كان يدور

الحوار بينهم إن كان هناك حوار!، وما أظن أنَّ الدكتور حاول إقناع هذا الوفد

بالإسلام!؛ لأن لهم ديناً سماوياً ومقدسات يجب احترامها كما صرَّح بضرورة احترامها.

ونطلب من الدكتور أن يبين لنا بالتفصيل هذه المقدسات في هاتين الديانتين

التي من الضروري احترامها، وما هو نوع هذا الاحترام الذي يجب على المسلمين

تجاه هذه المقدسات؟ ولعل منها الصليبان والصور والقبور المعبودة.

ونسأل الدكتور: ما هي الطرق التي تخلص اليهود والنصارى من ظاهرة معاداة

الإسلام؟ ألا يعلم أنه لا يمكنهم التخلص من هذا الداء المهلك إلا أن يتركوا ديانتهم المحرفة... إلخ، ويعتقوا الإسلام دين الله الحق؟ ألا يعلم الدكتور أن الله قال عن اليهود: ﴿بِأْسِهِمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحَسَّبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤]، وقال عن النصارى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَى أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَسَوْأَ حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [١٤].

[المائدة: ١٤]

فمن هذا حالهم فيما بينهم كيف يتخلصون من معاداة الإسلام ويصبحون من المحبين للإسلام وأهله؟!

لقد سرد لنا الدكتور في هذا التصريح الموجز عدداً من العبارات التي يطلقها كثير من المفكرين الذين يدعون أهل الديانات إلى وحدة الأديان، ألا وهي:

- الحوار بين الأديان.
 - التقارب بين الأديان
 - الديانات السماوية.
 - الديانات ومقدساتها.
 - حرية الاعتقاد.
 - ولهم عبارات أخرى لم يذكرها الدكتور.
- ولا أدري هل هو ممن يقول بوحدة الأديان، أو هو ممن يحاربها؟ ولكن التقليد والجهل بما يرمي إليه دُعاة وحدة الأديان من إطلاق هذه العبارات دفعه إلى سردها خلال هذا التصريح.

وأخيراً:

أرى أن لي الحق أن أذبّ عن رسالة محمد ﷺ، بل أرى من الضروري الذبّ عنها، وأن ذلك من واجبي وواجب المسلمين جميعاً.

فكما هبّ الكثير من المسلمين للذبّ عن رسول الله ﷺ يجب عليهم أن يذبّوا عن رسالته، ولا يجوز لهم السكوت عن تشويه هذه الرسالة العظيمة وتحقيرها بالتسوية بينها، وبين الديانات الوثنية، أو الديانات المحرّفة المبدّلة التي استحال فيها التوحيد إلى الشرك والكفر، واتخاذ البشر والأخشاب والصور أنداداً لله.

وتحوّلت المحرّمات فيها إلى الحلال والعذب الزلال، بالإضافة إلى ما فيها من كفر وتكذيب لمحمد ﷺ ولرسالته، إلى ضلالات وأعمال تنزّه عنها رسالة محمد ﷺ، وجميع الرسالات.

فهل يجوز المساواة بين الظلمات والنور؟! وبين الإيمان والكفر؟! وبين التوحيد والشرك؟!

اللهم إنا نبرأ إليك مما يدور في الساحة، وفي بعض الصحف، ووسائل الإعلام الأخرى من هذا اللون من الفكر المدمر، والمدندن حول وحدة الأديان تحت ستار الدفاع عن الرسول الكريم ﷺ وباسم الإسلام.

اللهم انصر دينك واحمه وأظهره على الدين كلّ، وانتصر لرسولك انتصاراً ظاهراً مؤزراً يا قوي يا عزيز.

كتبه

ربيع بن هادي عمير المدخلي

في ١٩/محرم/١٤٢٧هـ

فتوى الشيخ ربيع بن هادي المدخلي (حفظه الله): الدعوة إلى وحدة الأديان

كفر لفضيحة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي (حفظه الله):

السؤال: تدعو جماعة الإخوان المسلمين إلى وحدة الأديان، نرجو منكم بيان

ضلال هذه الدعوة، وهل هذه عقيدة كفرية؟

الجواب:

إنّ هذه الدعوة الآن قائمة؛ يعني: هذا حصل في السودان وعقدت لها مؤتمرات وكتب علماء هذه البلاد في وحدة الأديان وبينوا أنّ الدعوة إليها كفر، نشرت فتوى هنا في هذه البلاد والحمد لله - التي إن شاء الله - علماءها على السنة ويواجهون الباطل أينما كان ومهما كان مصدره، وقرّروا أنّ الدعوة إلى وحدة الأديان دعوة إلى الكفر: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ما يقبل أيّ دين: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ولا شك أنّ من يرى الأديان كلّها سواء: الإسلام واليهودية والنصرانية فهو أكفر من اليهود والنصارى، والعلماء كفّروا التّار بهذه العقيدة وقتلّوهم، ما قاتلوهم إلّا من أجل أنّهم قالوا: لا فرق بين اليهودية والإسلام والنصرانية. فلمّا عرفوا هذا منهم قالوا: هؤلاء كفّار ملاحدة زنادقة قاتلوهم. فقاتلوهم.

فتوى الشيخ زيد المدخلي (حفظه الله):

سُئِلَ الشيخ زيد بن محمد بن هادي المدخلي:

السؤال: ما رأيكم في دعوة التقريب إلى الأديان السماوية لتكون - كما يقولون -

صفًا واحدًا في وجه الإلحاد؟

الجواب:

صنيع قوم جاهلين فاعرف
نوحـد الصف مع النصراني
أن اليهود صفهم مع صفنا
لنقهر الإلحاد بالتعاضد
في عزّة ووحدّة لا تنشي
ونبذر الحبّ الصحيح والوفا
وهكذا مساجدًا ومتدّا
تعايش السلم سبيل العافية
وكلها حقّ فما شئت الزما
أي عقيدة يرضى فحقًا ما قصد
بدون حُجّة تحكى ولا برهان
هذا هراء فاقد البيان
والخلط مكرُّ سنة اللئام
دليله النص الصريح الأظهر
وناسخ ما قبله لا جدلا
لم يأت بعده نبي مرسل
فدع سواهم واستقم نلت العلا
ثم النصارى يا أخى فجار

يؤسفنا حقًا عظيم الأسف
قالوا تعالوا يا بني الإنسان
ونعلن الودّ صريحًا بيننا
نمضي جميعًا في طريق واحد
ونضمن العيش الرغيد والهنّي
وننزع الحقد ونبذ الجفا
كنيسة نبني ونبني معبدًا
نبني حياة والقلوب صافية
قدسية الأديان بيننا حمى
والناس أحرار فمن شاء اعتقد
وهكذا الرضا بوحدّة الأديان
إني أقول يا أخا الإحسان
بل ديننا الحق هو الإسلام
فمن يرد دينًا سواه يكفر
كتابنا الفرقان نور أنزلا
ثم النبي الهاشمي الأفضل
هذا اعتقاد العالمين النبلا
إنّ اليهود كلهم كفار

قد رفضوا جهراً رسالة النبي
واستثنى منهم بالدليل المسلما
وبعد هذا إخوة الإيمان
ومن ينادي لتقارب النحل
فالخالق الرحمن ربُّ واحد
وبعثة النبي شمولها ظهر
وكم لدعوة التقريب من آثار
قد أُلغيت من أجلها الفوارق
وألغى الولاء والبراء
لكل زنديق لئيم ماكر
فالويل كل الويل يا إخوان
ومن إليها بالضلال قد دعا
إلى آخر ما قال رَحِمَهُ اللَّهُ.

وفي هذا القرن تولى فكرة التقارب جماعة الإخوان المسلمين، فقد أكد أحد مُرشدي ومُنظري الإخوان كما نقلت جريدة الحياة المصرية (١٢/ نيسان ١٩٩٧) الموافق (٥ ذي الحجة ١٤١٧هـ)؛ عن المدعو مصطفى مشهور يقول: «إن الإخوان المسلمين يقرون حرية الاعتقاد الخاص، وحرية إقامة الشعائر الدينية لجميع الأديان السماوية المعترف بها، وحرية الرأي والجهربه والدعوة السلمية إليه في نطاق النظام العام والآداب العامة»، وقال: «إن أبناء الوطن مسلمين ومسيحيين

هم مواطنون متساوون في الحقوق والواجبات، وعلى وجه الخصوص في تولي الوظائف العامة، ومن حق كل مواطن المشاركة في الانتخابات سواء حق التصويت، والترشيح، وتولي عضوية المجالس النيابية»^(٦١).

يقول العلامة أحمد النجمي ردًا على ما قرره مرشد الإخوان المسلمين من حرية الأديان، قال مصطفى مشهور: إنه يجوز لكل فرد أن يعتقد عقيدة الإسلام إذا شاء، وعقيدة اليهود إذا شاء، وعقيدة الإلحاد إذا شاء إلى غير ذلك، وإنه لا يجوز لأحد أن يعترض عليه أو أن يحكم عليه... أو غيره، ومقتضى ذلك أيضًا أنه يجب أن نشطب على كتاب المرتد، ونلغي حكمه من كتب الحديث والفقه؛ لأنه لا فائدة لبقائه على ما قرره الإخوان.

فهل رأيت أخي المسلم إسفافًا في الجهل والتهتك أشد من هذا الإسفاف وخروجًا على تعاليم الدين أشد من هذا الخروج؟! ولعلمهم قالوا لذلك تأسيًا بالحلولي الملحد ابن عربي الذي يقول:

عقد الخلائق في الإله عقائدًا وأنا اعتقدت جميع ما عقده
ويقول:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي
لقد صار قلبي قابلاً كل صورة
وبيت لأوثان وكعبة طائف
أدين بدين الحب أنى توجهت
إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
فمرعى لغزلان ودير لرهباني
وألواح توراة ومصحف قرآن
ركائبه فالدين ديني وإيماني

(٦١) الرد الشرعي المعقول على المتصل المجهول، للشيخ أحمد النجمي ص (١٠٢).

وأما الإخوان المسلمون في السودان فقد قاموا بدور أكبر؛ ليوفروا على دعاة التبشير ما كانوا وما قاموا به من جُهد ومال؛ ليخرجوا المسلمين من الإسلام ويدخلوهم دين النصرانية، فقام الإخوان المسلمون في السودان بقيادة الدكتور حسن بن عبد الله التراي بما لم يستطع عليه المبشرون في عشرات السنين، فعقد المؤتمرات لوحدة الدين بين المسلمين والنصارى من أجل التعايش السلمي بينهم وألغى الفوارق، فأمر بسحب الدين من الهوية؛ ليكون المسلم والنصراني سواء، وأباح للنصارى أن يحاضروا في كليات البنات المسلمات، وأمر بأن يبنى في كل مكان من أماكن التجمعات مسجد وكنيسة ومعبد، ودعا أن يطبع القرآن والتوراة والإنجيل في غلاف واحد عنواناً على التسامح، فإننا لله وإننا إليه راجعون!!!» (٦٢).

يقول الشيخ مقبل الوداعي رَحِمَهُ اللهُ: وبعض الخبثاء يقول: حوار مع الأديان. ولكن الصحف السودانية والتراي عند أن ذهب إلى الخارج يقول: سندعو إلى وحدة الأديان ونضرب بيد من حديد على من وقف في طريقنا.

وآخر يقول في الصحيفة وقد قيل له: لماذا اختير السودان بالذات؟ قال: لأن هناك شبهات حول السودان، فنحب أن يعلم الناس أنه لا فرق بين المسلم والنصراني.

وَرَبُّ الْعِزَّةِ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿أَفَنَجْعُلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۖ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦]، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨].

قول الشيخ محمد بن هادي المدخلي (٦٣):

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧]. فلو كان إلهًا وربًّا معبودًا ما كان هكذا.

قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩]. فهذه الآيات كلها رَدُّ على النصارى الذين زعموا الإلهية لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفي الوقت نفسه رَدُّ على المفترين في عصرنا الذين لا يقولون: إن النصارى كفار. وهذا الآن نسمعه بكثرة، وللأسف من بعض المثقفين كما يقولون، ومن بعض علماء الصحوة - صحوة الموت -، يزعمون: أن النصارى أهل دين ولهم أن يتعبدوا بديانتهم بعد بعثة النبي ﷺ.

وتدرج بهم الشيطان في هذا فانتقلوا إلى أن لا تقول على النصارى واليهود كفار، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [المائدة: ١٧]، فسماهم الله كفارًا.

فمن لم يكفرهم، أو شكَّ في كفرهم، أو صحح مذهبهم فهو كافر، من لم يكفر اليهود والنصارى، أو شكَّ في كفرهم وشك هو في كفرهم، أو صحح ما هم عليه فهو كافر، فإن الله جَلَّ وَعَلَا قد نسخ كل ما تقدم من الديانات ببعثته ﷺ:

(٦٣) مادة صوتية بعنوان: (البرهان على بطلان الدعوة إلى وحدة الأديان) بتاريخ (٣٠ ربيع الأول لعام ١٤٣٢هـ)، قام بتفريغها: أبو عبيدة منجد بن فضل الحداد الخميس الموافق: (٥/ ربيع الثاني/ ١٤٣٢هـ)، بواسطة الأخ عبد الصمد الهولندي بارك الله فيه.

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].
 قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
 النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢٨) [سبأ: ٢٨].

وقال النبي ﷺ: «كان النبي يُبعث في قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة» (٦٤).
 وقال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِّنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَلَا يَهُودِيٍّ، وَلَا
 نَصْرَانِيٍّ، فَمَاتَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ» (٦٥)، فهذا
 أعظم رد على هؤلاء.

وتطور بهم إبليس وجعل لهم أحبولة وانطلت على كثير ممن لا علم عنده،
 فقال: لا تقول: يهودي. ولا: نصراني. ولكن قل: الآخر، نعم: حوار مع الآخر، لا
 تقول: مع اليهود والنصارى؛ لأنه يعرف أن كلمة اليهود والنصارى أهل الإسلام
 ينفرون من أهلها؛ لأنهم يعتقدون أنهم كفار، يهودي، نصراني، يعني: «كافر»، بنص
 كتابنا العزيز.

فهؤلاء قالوا: لا، لا تقولوا كذا وكذا!، قولوا: الآخر، من هو هذا الآخر؟
 اليهودي والنصراني ودع بعد ذلك بقية الأمور والديانات التي أدخلوها في هذا الباب.
 الشاهد: حرب شعواء ورد لكتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الصريح في هذا الباب،
 وإبطال لحديث رسول الله ﷺ الصحيح الصريح أيضًا في هذا الباب.

فنحن نقول: إن اليهود كفار، والنصارى كفار، ومن سمع ببعثة النبي ﷺ
 ومات ولم يؤمن به ﷺ فهو كافر، فإن مات على ذلك فهو من أهل النار خالدًا مخلدًا

(٦٤) رواه البخاري في باب قول النبي ﷺ: «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا». رقم (٤٢٧).

(٦٥) سبق تحريجه.

فيها أبداً.

ومن دافع عنهم وقال: إنهم ليسوا بكفار. فهو كافر.

ومن اعتقد أنه يصح لهم أنهم يتعبدوا بدياناتهم التي نُسِختَ ببعثته ﷺ فهو كافر، ومن تردد وقال: أنا ما أدري هم كفار ولا ما هم كفار. فهو كافر لا شك في ذلك؛ لأن هذا المتقرر عند المسلمين والله الحمد. فهذه الآيات ردٌّ على هؤلاء الذين يدعون إلى وحدة الأديان، وأخوة الأديان، وحدة الأديان كلها أديان سماوية، زادوا عليها، كانوا يقولون بهذا، زادوا عليها في الآونة الأخيرة الأديان غير السماوية «البوذية، والهندوكية» وقل ما شئت من بقية الأديان، كما قد رأينا في المؤتمرات دعوا حتى زعماء البوذية، والصابئة المشركين أدخلوهم في هذا الباب وسمَّوهم: «أصحاب أديان معترف بها»، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهذا من انتكاسة الفِطْرِ، ومن انتكاسة القلوب، ومن رَيْنِ الذنوب - عياداً بالله من ذلك -، والذين يظهرون في مثل هذه الملتقيات، والمؤتمرات، ولا ينكرون هذا فهم والله إن قيل إنهم ممن يوصف بأن عنده علماً فهو من علماء الضلال، ورءوس الضلال، وأصحاب الفتنة - عياداً بالله من ذلك -.

نحن كما قلنا من مرار: لا ننكر دعوة التحاور مع غير المسلمين، لماذا؟، لإقرار الحق الذي جاء به سيد الخلق ﷺ وهو: «هذا الدين»، والاستدلال له، ونصرته، وبيان أن الله لا يقبل من أحد ديناً سواه، هذا ندعو إليه، إذا جاء من يريد النقاش والمحاوره وإقامة الحق في هذا الباب نعم.

أما أخوة أديان بعد أن تكون قبلها وحدة أديان، كلها أديان صحيحة، بعد ذلك إذا قلت بهذا صارت الأخوة؛ لأنه ما بيننا شيء نتناحر عليه، وحدة أديان،

بعد ذلك أخوة أديان، بعد ذلك حرية أديان، أنت تعبد الله بالإسلام، هذا يعبد الله بالنصرانية، وهذا يعبد الله باليهودية، وهذا يعبد الله بالبوذية، وهذا يعبد الله بالهندوكية، وهذا يعبد الله كما... ما هم يعبدون الله، هؤلاء وثنيون لكن يعبدون معبوداتهم من دون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ويسمون هذه أدياناً صحيحة مع أنها ليست بأديان، لكن أضافوها إلى اليهودية والنصرانية، ثم حينئذ حرية أديان ويستدلون: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...﴾ [البقرة: ٢٥٦] نعم، لكن هل هذا الفهم الصحيح الذي دلت عليه الآيات الأخرى وسنة رسول الله ﷺ الصحيحة الصريحة؟ لا والله.

وكثير من المتكلمين بهذا يعلمون أنهم لم يُوفقوا للحق، ويعلمون أنهم مخالفون للحق، ولكنهم الشيطان استهواهم - عياداً بالله من ذلك - بحثاً عن العالمية - الشهرة العالمية -.

هذا بلاء عظيم جداً معشر الأخوة والأبناء، والقول: بأن العالم ما يسوده السلام إلا بهذا!!! هذا من أنكر المنكرات وأبطل الباطل، العالم لا يسوده السلام إلا بإفراد العبادة للملك القدوس السلام سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يكون إلا بهذا: ﴿أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، هذا هو، فنسأل الله العافية والسلامة.

وهذه الفكرة الخبيثة الملعونة: فكرة دعوى حرية الأديان وأخوة الأديان ووحدة الأديان عكسناها مرة أخرى، هذه ما جاء بها إلا «الإخوان المسلمون» هم الذين أسسوا بذرتها التأسيس الخبيث، ولم تزل تنتشر في الناس إلى يومنا هذا.

وقد وجدت رءوساً منهم وهم بارعون في الإعلام واستقطاب الناس بالإعلام، وقد قِيلَ: «كثُرَ الطرق يلين الحديد»، فالناس حينما يستيقظون، ويمسون،

وينامون، ويتبهبون على مثل هذا يصبح من كثرة التكرار أمرًا عاديًا حتى يتقرر عندهم - عيادًا بالله من ذلك -، فهم الذين يتولون كبر هذه الجريمة، وإثم هذه الفادحة العظيمة التي بلّوا بها أهل الإسلام - عيادًا بالله من ذلك -.

فنقول معشر الإخوان: يتنبه لهذا!، وكل من سار في هذا الباب فهو ضالٌّ مضل كائنًا من كان، كائنًا من كان، إن كان عالمًا فهو رأس ضلال، إن قيل: عنده علم. فهو من علماء السوء، وعلماء الفتن والضلال، وإن كان عاميًا يعلم ويحذّر ويقال له: هذا ردة عن دين الإسلام. وتذكر له الأدلة من كتاب الله وسنة الرسول ﷺ، فإن أبى وإلا لحق بهؤلاء الكفار، يكون حكمه حكمهم - عيادًا بالله من ذلك - نعم.

وأخيرًا فإن هذه الدعوة الباطلة تنتج دينًا محرفًا، ملفقًا باطلاً، يجمع بين الكفر والإسلام، وبين التوحيد والشرك، والله تعالى يقول: ﴿قُلْ يَتَّيْنَاهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [سورة الكافرون]، فهذه السورة أعظم رد على هذه الدعوة وعلى دُعائها، فدين الإسلام فحسب هو الذي يحقق للبشرية إذا اعتنقته وتمسكت به النجاة في الدارين، والعز، والأمن، والسعادة، وكل الخيرات في الدنيا والآخرة.

حَقِيقَةُ الأَدْيَانِ المُحَرَّفَةِ:

يقول ابن القيم رحمه الله: «فالأمة الغضبية هم اليهود أهل الكذب والبُهْت والغدر والمكر والحيل، قتلة الأنبياء وأكلة السُّحْت وهو الربا والرشا، أخبث الأمم طوية وأرذاهم سجية، وأبعدهم من الرحمة، وأقربهم من النعمة، عادتهم البغضاء وديدنهم العداوة والشحناء، بيت السُّحَر والكذب والحيل، لا يرون لمن

خالفهم في كفرهم وتكذيبهم الأنبياء حُرمة، ولا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، ولا لمن وافقهم حق ولا شفقة، ولا لمن شاركهم عندهم عدل ولا نصفة، ولا لمن خالطهم طمأنينة ولا أمانة، ولا لمن استعملهم عندهم نصيحة، بل أخبثهم أعقلهم وأحذقهم أغشهم، وسليم الناصية وحاشاه أن يوجد بينهم ليس بيهودي على الحقيقة، أضيق الخلق صدورًا وأظلمهم بيوتًا وأنتهم أفنية وأوحشهم سجية، تحيتهم لعنة ولقاؤهم طيرة، شعارهم الغضب، ودثارهم المقت.

والصنف الثاني المثلثة، أمة الضلال وعباد الصليب، الذين سبوا الله الخالق مسبة ما سبه إياها أحد من البشر، ولم يقرؤا بأنه الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ولم يجعلوه أكبر من كل شيء، بل قالوا فيه ما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًا، فقل ما شئت في طائفة أصل عقيدتها أن الله ثالث ثلاثة، وأن مريم صاحبة، وأن المسيح ابنه، وأنه نزل عن كرسي عظمته والتحم بطن صاحبة، وجرى له ما جرى إلى أن قُتل ومات ودُفن، فدينها عبادة الصليبان، ودعاء الصور المنقوشة بالأحمر والأصفر في الحيطان، يقولون في دعائهم: يا والدة الإله، ارزقينا واغفري لنا وارحمينا. فدينهم شرب الخمر وأكل الخنزير وترك الختان والتعبد بالنجاسات واستباحة كل خبيث من الفيل إلى البعوضة، والحلال ما حلله القس والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه وهو الذي يغفر لهم الذنوب وينجيهم من عذاب السعير» (٦٦).

التسوية بين الإسلام وغيره كفر:

فكيف يرضى مسلم بهذه التسوية بين الكفر، والإسلام؟ فكل دين بعد مبعث

النبي ﷺ فهو باطل، ولو لم يكن محرّفاً، فكيف وقد حُرّفت تلوكم الأديان قبل مبعثه ﷺ؟ فعن جابر بن عبد الله، أن النبي ﷺ غضب حين رأى مع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صحيفة فيها شيء من التوراة، وقال: «أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ ألم آت بها بيضاء نقية؟ لو كان أخي موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي»^(٦٧)، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، فهذا الخلط كفر؛ يقول تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُوا لِلْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢]؛ يقول: لا تخلطوا بين اليهودية والنصرانية، وبين الإسلام. ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] إخبار من الله تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين، حتى خُتِمُوا بمحمد ﷺ، الذي سدّ جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد ﷺ، فمن لقي الله بعد بعثته محمداً ﷺ بدين على غير شريعته، فليس بمتقبل. كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال في هذه الآية مخبراً بانحصار الدين المتقبل عنده في الإسلام: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [سورة آل عمران: ١٩]»^(٦٨)، وعن عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال»^(٦٩).

وَعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ»

(٦٧) أخرجه أحمد (٣ / ٣٨٧)، حسنه الشيخ الألباني في الإرواء رقم (١٥٨٩).

(٦٨) تفسير ابن كثير في تفسير الآية ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾...

(٦٩) قال الشيخ الألباني: (صحيح)، انظر حديث رقم (٨٢٠٢) في صحيح الجامع.

فَقَرَأَ عَلَيْهِ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [البينة: ١]، فَقَرَأَ فِيهَا إِنَّ ذَاتَ الدِّينِ عِنْدَ اللَّهِ الْخَفِيَّةُ الْمُسْلِمَةُ، لَا الْيَهُودِيَّةُ، وَلَا النَّصْرَانِيَّةُ، مَنْ يَعْمَلْ خَيْرًا فَلَنْ يُكْفَرَهُ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ: وَلَوْ أَنَّ لِبْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ مَالٍ لَا يَبْتَغِي إِلَيْهِ ثَانِيًا، وَلَوْ كَانَ لَهُ ثَانِيًا لَا يَبْتَغِي إِلَيْهِ ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ» (٧٠).

وعن أبي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ بِالْيَهُودِيَّةِ، وَلَا بِالنَّصْرَانِيَّةِ، وَلَكِنِّي بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ» (٧١)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (٨٣).

[آل عمران: ٨٣]

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥]، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صُورٍ الْأَعُورُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَا الْهُدَى إِلَّا مَا نَحْنُ عَلَيْهِ، فَاتَّبِعْنَا يَا مُحَمَّدُ تَهْتَدُ. وَقَالَتِ النَّصَارَى مِثْلَ ذَلِكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾. وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ «أَيُّ: لَا نَرِيدُ مَا دَعَوْتُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ، بَلْ نَتَّبِعُ: ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ أَيُّ: مُسْتَقِيمًا» (٧٢).

الْكُفَّارُ يَرْفُضُونَ دَعْوَةَ التَّقْرِيبِ حَقِيقَةً :

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾

(٧٠) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي بَابٍ مِنْ فُضَائِلِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَقْمُ (٣٧٢٦) وَأَصْلُهُ فِي الصَّحِيحِينَ دُونَ الزِّيَادَةِ.

(٧١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالتَّطَبُّعِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» رَقْمُ (٢٩٢٤).

(٧٢) تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ.

قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ [البقرة: ١١١ - ١١٢].
وقال تعالى: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَنْ أَتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿١٣٠﴾.

[البقرة: ١٢٠]

قال ابن جرير: يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ وليست اليهود - يا محمد - ولا النصارى براضية عنك أبداً، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق.
وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ أي: قل يا محمد: إن هدى الله الذي بعثني به هو الهدى، يعني: هو الدين المستقيم الصحيح الكامل الشامل. قال قتادة في قوله: ﴿قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ قال: خصومة علمها الله محمداً ﷺ وأصحابه، يخاصمون بها أهل الضلالة» (٧٣).

فأخبر جلّ وعلا أنهم لا يرضون إلا بالانضمام إلى دينهم واتباع ملتهم، فهم لا يرضون هذا التلفيق بين الأديان، لكنهم يريدون من وراء هذه الدعوات إغواء المسلمين وإضلالهم، وذر الرماد في عيونهم، مستخدمين في سبيل هذا الإضلال والإغواء شتى الأساليب الماكرة، ومنها: التظاهر بالشعارات الجذابة البراقة الكذابة، فهم يستخدمون شعارات الحرية، والمساواة، والسماحة، وهم أول من يخالفها وهي نفسها مصادمة للإسلام، مخالفة لتعاليمه، فالسماحة سمة من سمات هذا الدين، لكنها غير هذا المعنى الذي يقصدون الذي هو الكفر الصراح والتكذيب للقرآن، والمعارضة له.

الفصل الخامس

مَوْقِفُ الْإِسْلَامِ مِنَ الْأَدْيَانِ الْبَاطِلَةِ

إن الذين ينادون بالتقارب بين الأديان، والمساواة، والتآخي، والتسامح والتعاون بينها، يصادمون مئات النصوص من الكتاب والسنة التي تعارض هذه المبادئ، ومنها: لعن الكفار وذمهم وعييبهم والتبرؤ منهم، ومعاداتهم، ومنهم اليهود والنصارى: قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَسْكَمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِعِصْبٍ عَلَى عِصْبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠]، وقال في المائدة: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [٧٨] ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [٧٩] [المائدة: ٧٨، ٧٩]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ [٦٤] ﴿خَلْدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجْدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [٦٥] ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ بَلَّيْتَنَا أَطْعَمَنَا اللَّهُ وَأَطْعَمَنَا الرُّسُلَ﴾ [٦٦] [الأحزاب: ٦٤ - ٦٦]، ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١] [التوبة: ١].

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [١٨١] ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [١٨٢] ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَاهَدُ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ

يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِ بِالْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ [آل عمران: ١٨١ - ١٨٣].

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: دخل أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بيت المدراس، فوجد من يهود أناسا كثيرا قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له: فِنْحَاص. وكان من علمائهم وأخبارهم، ومعه حَبْرٌ يقال له: أشيع. فقال أبو بكر: ويحك يا فِنْحَاص! اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمدا رسول الله، قد جاءكم بالحق من عنده، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والإنجيل، فقال فنحاص: والله - يا أبا بكر - ما بنا إلى الله من حاجة من فقر، وإنه إلينا لفقير، ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء، ولو كان عنا غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويُعْطِنَاهُ ولو كان غنيا ما أعطانا الربا. فغضب أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فضرب وجه فِنْحَاص ضربا شديدا، وقال: والذي نفسي بيده، لولا الذي بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك يا عدو الله، فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين. فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال: أبصر ما صنع بي صاحبك. فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «ما حَمَلَكَ عَلَى ما صَنَعْتَ؟» فقال: يا رسول الله! إن عَدُوَّ الله قد قال قولا عظيما، زعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء، فلما قال ذلك، غَضِبْتُ الله مما قال، فضربت وجهه. فبحَد ذلك فنحاص وقال: ما قلت ذلك، فأنزل الله فيما قال فنحاص ردا عليه وتصديقا لأبي بكر: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١] الآية. رواه ابن أبي حاتم. وقوله: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ تهديد ووعيد؛ ولهذا قرنه بقوله: ﴿وَقَتْلَهُمْ﴾ الْآلِئِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴿أَي: هذا قولهم في الله، وهذه معاملتهم لرسول الله، وسيجزئهم

الله على ذلك شرّ الجزاء؛ ولهذا قال: ﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (١٨١) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (١٨٢) ﴿آل عمران: ١٨١، ١٨٢﴾ أي: يقال لهم ذلك تقرّيعاً وتحقيراً وتصغيراً.

فأين مبدأ المسامحة والتعاون بين الأديان من هذه المفاهيم التي قررّها القرآن وقررتها السُّنة؟

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآءُ مَا يَعْصُونَ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْآلِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (١١٢) ﴿آل عمران: ١١٢﴾.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي لِي أَسْرَءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾ (٧٢) ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُوا لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٧٣) ﴿٧٣﴾.

[المائدة: ٧٢، ٧٣]

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢٢) ﴿المجادلة: ٢٢﴾.

والآيات في هذا كثيرة.

ومن السُّنة: عن عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما قالا: «لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ طِفْقٌ يَطْرُحُ حَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا، كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ

كَذَلِكَ: «لَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا» (٧٤).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً: «لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروه إلى أضيقها» (٧٥).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ يُقَالُ لَهَا: مَارِيَّةُ. فَذَكَرَتْ لَهُ مَا رَأَتْ فِيهَا مِنَ الصُّورِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَوْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ» (٧٦).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ، حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ، فَجَمَّلُوهَا فَبَاعُوهَا» (٧٧).

وعن سالم عن أبيه: قال: جاء أعرابيٌّ إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! إن أبي كان يصل الرحم وكان وكان. فأين هو؟ قال: «في النار» قال: فكأنه وجد من ذلك. فقال: يا رسول الله! فأين أبوك؟ فقال رسول الله ﷺ: «حيثما مررت بقبر

(٧٤) أخرجه البخاري في باب الصلاة في البيعة (٤١٧)، ومسلم في باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد (٨٢٦).

(٧٥) السلسلة الصحيحة (١٤١١) (٣ / ٤٠٠): أخرجه مسلم (٥ / ٧)، وأبو داود (٢ / ٦٤٢) وأحمد (٢ / ٣٤٦ و ٤٥٩).

(٧٦) البخاري في باب الصلاة في البيعة (٤١٦)، ومسلم في باب النهي عن بناء المساجد على القبور، واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد (٨٢٢).

(٧٧) البخاري في باب ما ذُكِرَ عن بني إسرائيل (٣٢٠١).

مشرك فبشره بالنار» قال: فأسلم الأعرابي بعد. وقال: لقد كلفني رسول الله ﷺ تعبًا. ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار.

جاء الإسلام بمُخَالَفَةِ الْكُفَّارِ:

أن مخالفة الكفار أصل عظيم من أصول الدين الإسلامي، ولقد أمر الكتاب والسنة بمخالفة الكفار والتمايز عنهم في كل شيء في العبادات والعبادات، يقول الله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ١ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

ففي هذه الآيات منهج للمسلم يسير عليه وهو مخالفة أصحاب الجحيم، كل أصحاب الجحيم وإن تعددت طرقهم وتباينت، فالحق واحد، والأهوية كثير، وسبيل الله واحد، وسبل الشيطان متكاثرة، يقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ١٥٣ [الأنعام: ١٥٣]، فوحد الطريق إليه، وتعددت الطرق الجائرة الظالمة ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ١ [سورة النحل: ٩].

فبين الله لنا الصراط المستقيم وأمرنا باتباعه وحذرنا من اتباع طرق المنحرفين عن سبيله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ١٨ ﴿إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا عَنْكَ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ ١٩ هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ [الجاثية: ١٨ - ٢٠].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «كذلك: قد نتضرر بمتابعتنا الكافرين في أعمال لولا أنهم يفعلونها لم نتضرر بفعلها، وقد يكون الأمر بالموافقة والمخالفة؛ لأن ذلك الفعل الذي يوافق فيه، أو يخالف، متضمن للمصلحة، أو المفسدة ولو لم

يفعلوه، لكن عبر عن ذلك بالموافقة والمخالفة، على سبيل الدلالة والتعريف؛ فتكون موافقتهم دليلاً على المفسدة، ومخالفتهم دليلاً على المصلحة، واعتبار الموافقة والمخالفة على هذا التقدير: من باب قياس الدلالة، وعلى الأول: من باب قياس العلة، وقد يجتمع الأمران^(٧٨). اهـ.

وقال أيضاً: «ثم جعل محمداً ﷺ على شريعة شرعها له، وأمره باتباعها، ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون، وقد دخل في الذين لا يعلمون: كل من خالف شريعته. وأهواؤهم: هو: ما يهوونه، وما عليه المشركون من هديهم الظاهر، الذي هو من موجبات دينهم الباطل، وتوابع ذلك، فهم يهوونه، وموافقتهم فيه اتباع لما يهوونه، ولهذا: يفرح الكافرون بموافقة المسلمين في بعض أمورهم ويسرون به، ويودون أن لو بذلوا ما لا عظيماً ليحصل ذلك، ولو فرض أن ليس الفعل من اتباع أهوائهم فلا ريب أن مخالفتهم في ذلك أحسم لمادة متابعتهم، وأعون على حصول مرضاة الله في تركها، وأن موافقتهم في ذلك قد تكون ذريعة إلى موافقتهم في غيره، فإن من حام حول الحمى أوشك أن يواقعه، وأي الأمرين كان؛ حصل المقصود في الجملة، وإن كان الأول أظهر»^(٧٩).

وفي هذا الباب قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مآبُ ۝٣٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ [الرعد: ٣٦، ٣٧].

(٧٨) اقتضاء الصراط المستقيم ص (٢١ - ٢٢).

(٧٩) المصدر السابق ص (٢٤).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «الضمير في (أهوائهم)، يعود - والله أعلم - إلى ما تقدم ذكره، وهم الأحزاب الذين ينكرون بعضه، فدخل في ذلك كل من أنكر شيئاً من القرآن: من يهودي، ونصراني، وغيرهما، وقد قال: ﴿وَلَيْنِ أَتَّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ ومتابعتهم فيما يختصون به من دينهم وتوابع دينهم اتباع لأهوائهم، بل يحصل اتباع أهوائهم بما هو دون ذلك»^(٨٠).

وقال تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾ مِنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الروم: ٣٠ - ٣٢].
وقوله: ﴿مِنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ أي: لا تكونوا من المشركين الذين قد فرقوا دينهم أي: بدلوه وغيروه وآمنوا ببعض وكفروا ببعض.

وقرأ بعضهم: «فارقوا دينهم» أي: تركوه وراء ظهورهم، وهؤلاء كاليهود والنصارى، والمجوس، وعبداء الأوثان، وسائر أهل الأديان الباطلة، مما عدا أهل الإسلام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام: ١٥٩]، فأهل الأديان قبلنا اختلفوا فيما بينهم على آراء، وملل باطلة، وكل فرقة منهم تزعم أنهم على شيء»^(٨١).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ

(٨٠) اقتضاء الصراط المستقيم ص (٢٥).

(٨١) تفسير ابن كثير.

الْمُؤْمِنِينَ تُولِيهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ [سورة النساء: ١١٥].

وقوله: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى﴾ أي: ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ، فصار في شقٍّ والشرع في شقٍّ، وذلك عن عَمْدٍ منه بعدما ظهر له الحق وتبين له واتضح له. وقوله: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هذا ملازم للصفة الأولى، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع، وقد تكون لما أجمعت عليه الأمة المحمدية، فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقاً، فإنه قد ضُمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ، تشریفاً لهم وتعظيماً لنبیهم ﷺ. وقد وردت في ذلك أحاديث صحيحة كثيرة، قد ذكرنا منها طرفاً صالحاً في كتاب: «أحاديث الأصول»، ومن العلماء من ادعى تواتر معناها، والذي عول عليه الشافعي رَحِمَهُ اللهُ، في الاحتجاج على كون الإجماع حُجَّةً تَحْرُمُ مخالفته: هذه الآية الكريمة، بعد التروي والفكر الطويل. وهو من أحسن الاستنباطات وأقواها، وإن كان بعضهم قد استشكل ذلك واستبعد الدلالة منها على ذلك.

ولهذا توعد تعالى على ذلك بقوله: ﴿تُولِيهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿١١٥﴾ أي: إذا سلك هذه الطريق، جازيناه على ذلك، بأن نحسنها في صدره ونزينها له - استدراجاً له - كما قال تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ هَذَا الْحَدِيثَ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، وقوله: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿١١٠﴾ [الأنعام: ١١٠].

وجعل النار مصيره في الآخرة؛ لأن من خرج عن الهدى لم يكن له طريق إلا إلى النار يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ من دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ [الصافات: ٢٢، ٢٣]، وقال: ﴿وَرَأَى الْمَجْرِمُونَ

النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ [الكهف: ٥٣] (٨٢).

وفي تحويل القبلة السبب والعلة منها هو وجوب مخالفتهم، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٥٠].

قال شيخ الإسلام: «قال غير واحد من السلف: معناه: لئلا يحتج اليهود عليكم بالموافقة في القبلة، فيقولون: قد وافقونا في قبلتنا، فيوشك أن يوافقونا في ديننا، فقطع الله بمخالفتهم في القبلة هذه الحجة؛ إذ الحُجَّةُ اسم لكل ما يحتج به من حق وباطل، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ وهم قريش، فإنهم يقولون: عادوا إلى قبلتنا، فيوشك أن يعودوا إلى ديننا».

فبين سبحانه أن من حكمة نسخ القبلة وتغييرها مخالفة الناس الكافرين في قبلتهم؛ ليكون ذلك أقطع لما يطمعون فيه من الباطل، ومعلوم أن هذا المعنى ثابت في كل مخالفة وموافقة، فإن الكافر إذا أتبع في شيء من أمره، كان له في الحجة مثل ما كان، أو قريب مما كان لليهود من الحجة في القبلة» (٨٣).

ومن السنة أيضًا ما جاء في وجوب المخالفة لسائر الكفرة من يهود ونصارى وغيرهم ما يطول ذكره، ومنه ما جاء في مخالفتهم في العبادات والعادات، حتى في آداب الطعام واللباس والجلوس بل حتى في فرقة الشعر، فما جاء في التحذير من مشابهتهم بشكل عام:

عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شَبْرًا

(٨٢) تفسير ابن كثير.

(٨٣) اقتضاء الصراط المستقيم ص (٢٦).

بشبر وذراعًا بذراع، حتى لو سلكوا جُحَرَ ضَبٍّ لسلكتموه». قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟»^(٨٤).

وكذلك ما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون قَبْلَهَا شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ»، قيل له: يا رسول الله! كفارس والروم؟ قال: «مَنِ النَّاسُ إِلَّا أَوْلَئِكَ؟»^(٨٥).

وما ورد في السُّنة في مخالفتهم في العبادات ما جاء في النهي عن مشابهتهم في الصلاة، عن سعيد بن زياد، عن زياد بن صبيح قال: «صليت إلى جنب ابن عمر فوضعت يدي على خطري، فقال لي هكذا ضربة بيده، فلما صليت قلت لرجل: من هذا؟ قال: عبد الله بن عمر. قلت: يا أبا عبد الرحمن! ما رابك مني؟ قال: إن هذا الصلب وإن رسول الله ﷺ نهانا عنه»^(٨٦). ففي هذا الحديث النهي عن التشبه بالنصارى الكفار أهل عقيدة الصلب في شكل الصلاة، ومما جاء في ذلك أيضًا عن يعلى بن شداد بن أوس، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «خالقوا اليهود، فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم»^(٨٧)، وكان رسول الله ﷺ يصوم عاشوراء، ثم أمر بصيام التاسوعاء مخالفة لليهود، عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: «حين صام رسول الله ﷺ عاشوراء وأمر بصيامه قالوا: يا رسول الله، إنه يوم

(٨٤) رواه البخاري في باب ما ذُكِرَ عن بني إسرائيل رقم (٣٢٦٩)، ومسلم في باب اتباع سنن اليهود والنصارى (٢٦٦٩).

(٨٥) أخرجه البخاري في باب قول النبي ﷺ (٦٨٨٨).

(٨٦) رواه النسائي في باب النهي عن التخصر في الصلاة، رقم (٨٩١) وصححه الشيخ الألباني.

(٨٧) رواه أبو داود في باب الصلاة في النعل رقم (٦٥٢) وصححه الشيخ الألباني.

تعظمه اليهود والنصارى؛ فقال رسول الله ﷺ: «إِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ». قال: فلم يأت العام المقبل حتى تُوفي رسول الله ﷺ^(٨٨)، بل أمر بوجوب مخالفتهم في الهدى الظاهر: «عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال: «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ وَفَرُوا اللَّحَى وَاحْفُوا الشَّوَارِبَ»، وكان ابن عمر إذا حجَّ، أو اعتمر، قبض على لحيته فما فضل أخذه»^(٨٩)، وفي صبغ الشعر وتغيير الشيب: ما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، لَا يَصْبِغُونَ فِخَالْفَوْهَمَ»^(٩٠)، ومما جاء في السُّنة في مخالفتهم حتى في آداب الجلوس، فعن الشريد بن سويد قال: مر بي رسول الله ﷺ وأنا جالس هكذا وقد وضعت يدي اليسرى خلف ظهري واتكأت على إلية يدي - بفتح فسكون: اللحمية التي في أصل الإبهام -، فقال: «أَتَقْعِدُ قَعْدَةً - بكسر فسكون. اسم هيئة القعود - المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ؟!!»^(٩١).

ولما هاجر رسول الله من مكة إلى المدينة، ورأى اليهود يسرحون رءوسهم إلى الخلف، وقد كان قبل يسرح رأسه إلى الخلف في امتشاطه، فلما رآهم يفعلون ذلك، فرق رأسه: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسْدِلُ شَعْرَهُ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرِقُونَ شَعُورَهُمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ

(٨٨) رواه مسلم في باب أي يوم يصام في عاشوراء رقم (١١٣٤).

(٨٩) أخرجه البخاري ومسلم في الطهارة، باب خصال الفطرة رقم (٢٥٩).

(٩٠) رواه البخاري في باب ما ذُكِرَ عن بني إسرائيل رقم (٣٢٧٥)، وأخرجه مسلم في اللباس والزينة،

باب في مخالفة اليهود في الصبغ رقم (٢١٠٣).

(٩١) رواه أبو داود في باب في الجلسة المكروهة رقم (٤٨٤٨) وصححه الشيخ الألباني.

فيما لم يؤمر فيه بشيء، ثم فرق رسول الله ﷺ بعد ذلك» (٩٢).

فإذا أمرنا بمخالفة اليهود والنصارى وسائر الكفرة في هذه الأمور الدقيقة، فنحن إلى مخالفتهم في ما هو أعلى من ذلك أحوج وأولى؛ لأن المشابهة تدعو إلى المقاربة، والمشابهة في الظاهر تؤدي إلى المشابهة في الباطن، والمتشبه ينظر إلى المتشبه به نظرة إعجاب وإكبار، ولذلك فإن الشريعة هدفت إلى صيانة المسلم من هذه الآفات التي تؤثر في إسلامه، وإيمانه فتتقصه أو تذهبه، ولشيخ الإسلام كتاب عظيم في هذا الشأن: «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» وبعد ذلك، فإن السلامة لا يعدلها شيء، وليعلم المسلم خطورة هذه الدعوات الباطلة، وأنها تدس السُّمَّ في الدسم دعوات: وحدة الأديان، التسامح بين الأديان، حرية الأديان، حوار الديانات، اللقاء مع الطرف الآخر إلى غير ذلك من المسميات التي تهدف إلى شيء واحد وهو تدمير الإسلام والمسلمين، والله حفظ دينه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ولكنهم يؤثرون على بعض ضعاف الدين والعقل والعلم، فيجتالونهم ويحتالون بهم والله أعلم، وصلِّ اللهم على نبينا محمد وآله وسلم.



الخاتمة

وأخيرًا فإن هذا الجُهد القليل المتواضع من جمع أقوال العلماء في هذه المسألة التي هي فتنة من فتن هذا العصر، الذي دفعني إليه أني سمعت عالمًا من العلماء يقول: لو جمعت فتاوى العلماء في الرد على الدعوة إلى وحدة الأديان، أو نحو هذا الكلام. بدأت فيه بمقدمة بسيطة للبحث، ثم جعلته على خمسة فصول:

✱ الفصل الأول: وتحتة العناوين التالية:

- العنوان الأول: فضل الإسلام.
- العنوان الثاني: تعريف بالإسلام.
- العنوان الثالث: أهمية التوحيد.
- العنوان الرابع: كفاية الإسلام.
- العنوان الخامس: التمسك بالإسلام وعدم الحيدة عنه.
- ✱ الفصل الثاني: دعاة وحدة الأديان، وتحتة العناوين التالية:

- العنوان الأول: دعاة وحدة الأديان الأوائل.
- العنوان الثاني: دعاة وحدة الأديان في العقد الماضي.
- العنوان الثالث: التسوية بين الإسلام وغيره كفر.
- العنوان الرابع: الكفار يرفضون دعوة التقريب حقيقة.
- العنوان الخامس: دعاة التقريب في عصرنا.
- ✱ الفصل الثالث: موقف الحلبي من رسالة عمان، وتحتة:
- العنوان الأول: بعض نصوص الرسالة التي تدعو إلى التقريب.

- العنوان الثاني: ثناء الحلبي على الرسالة.
- العنوان الثالث: ردود العلماء على الرسالة.
- * الفصل الرابع: فتاوى العلماء الأكابر في الرد على الدعوة إلى وحدة الأديان
- فتوى اللجنة الدائمة للإفتاء.
- فتوى الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ.
- فتوى الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ.
- فتاوى ومقالات بعض العلماء الآخرين.
- * الفصل الخامس: وتحتة العناوين التالية:
- العنوان الأول: موقف الإسلام من الأديان الباطلة.
- العنوان الثاني: جاء الإسلام بمخالفة الكفار.



المصادر

- القرآن الكريم.
- تفسير ابن جرير.
- تفسير ابن كثير.
- تفسير ابن سعدي.
- صحيح البخاري.
- صحيح مسلم.
- سنن النسائي.
- سنن الترمذي.
- سنن أبي داود.
- سنن ابن ماجه.
- المسند للإمام أحمد.
- سنن البيهقي.
- السلسلة الصحيحة.
- صحيح الترغيب والترهيب.
- صحيح الجامع.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
- مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين.
- هداية الحيارى لابن القيم.

- اقتضاء الصراط المستقيم.
 - حجية خبر الأحاد للشيخ ربيع.
 - رد الجواب للشيخ أحمد النجمي.
 - تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد.
 - شرح الأصول الثلاثة للشيخ ابن عثيمين.
 - شرح الأصول الثلاثة للشيخ صالح آل الشيخ.
 - النونية لابن القيم وغيرها.
 - مع الاستفادة من المكتبة الشاملة.
 - الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام والأديان الأخرى.
- تمّ البحث بفضل الله تعالى يوم الخميس الموافق ١٩ ربيع الثاني عام ١٤٣٢.

كتبه:

أسعد بن عجيل



لكتابة الرسائل العلمية وصف وتحقيق كتب التراث وغيرها
القاهرة - هاتف: ٠١٠٠٧٢١٩٥٤٣
البريد الإلكتروني: EBADALRHIMAN_SFEEF@YAHOO.COM
EBADALRHIMANSFEEF@GMAIL.COM



فهرس

٦	تمهيد
٩	الفصل الأول: فضل الإسلام
١٢	تعريف بالإسلام
١٥	أهمية التوحيد
١٧	كفاية الإسلام
١٩	التمسك بالإسلام وعدم الحيدة عنه
٢٣	الفصل الثاني: دعاة وحدة الأديان
٢٣	دعاة وحدة الأديان الأوائل
٢٤	دعاة وحدة الأديان في العقد الماضي
٢٥	حقيقة الأديان المحرّفة
٢٥	التسوية بين الإسلام وغيره كفر
٢٦	الكفار يرفضون دعوة التقريب حقيقةً
٢٦	دعاة التقريب في عصرنا
٢٨	بداية الانحراف
٣٢	الفصل الثالث: موقف الحلبي من رسالة عمان
٣٢	بعض نصوص الرسالة التي فيها دعوة إلى التقريب
٣٤	ثناء الحلبي على الرسالة
٣٦	ردود العلماء على رسالة عمان
٣٦	رد الشيخ الفوزان

دعوى التقارب بين الأديان هي جمع بين الكفر والإيمان «الفوزان»	٣٧
جواب الشيخ عبد المحسن العباد عن بعض ما تضمنته رسالة عمان	٣٩
الفصل الرابع: فتاوى العلماء الأكابر في الرد على الدعوة إلى وحدة الأديان:	٤٤
فتوى اللجنة الدائمة	٤٤
فتوى الشيخ ابن باز	٥٠
فتوى الشيخ العثيمين	٥٤
رأي الشيخ المفتي في رسالة عمان	٥٦
فتوى الشيخ صالح اللحيدان	٥٧
مقال الشيخ ربيع المدخلي «الذَّبُّ عن رسالة محمد ﷺ»	٥٨
فتوى الشيخ ربيع المدخلي: الدعوة إلى وحدة الأديان كفر	٦٤
فتوى الشيخ زيد المدخلي	٦٤
قول الشيخ محمد بن هادي المدخلي	٦٩
الفصل الخامس: موقف الإسلام من الأديان الباطلة	٧٨
جاء الإسلام بمخالفة الكفار	٨٢
الخاتمة	٩٠
المصادر	٩٢
فهرس	٩٥



غَضَبُ الدَّيَّانِ عَلَى الْقَائِلِينَ بِوُجْهِكَ الْإِيكِيَّاتِ

قال الشيخ ربيع بن هادي المدخلي
حفظه الله تعالى

تأليفه عن رسالة أجيال من شيوخ وقته الله والتي يقولون: غضب الديان
على الظالمين بوجهك الأديان، وذلك في ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٤ م في بيته بقطيف.
يقولهم أهل الديانات الأديان والديانات، أصابت أمة فقوم صمنا
يؤمنون بوجهك الأديان والديانات، مع المؤمنين بالديانات الأديان
على وجهك الأديان والديانات، أصابت أمة فقوم صمنا
يقولون بوجهك الأديان والديانات، أصابت أمة فقوم صمنا
والتي هي بوجهك الأديان والديانات، أصابت أمة فقوم صمنا
في هذا الإلهام بوجهك الأديان والديانات، أصابت أمة فقوم صمنا
وقولهم: قولوا للدين والديانات، أصابت أمة فقوم صمنا
والصالحين بوجهك الأديان والديانات، أصابت أمة فقوم صمنا

تأليف
ربيع بن هادي المدخلي

دار السبيل للمؤمنين
بجدة - الرياض

دار السبيل للمؤمنين

عين شمس - القاهرة - جمهورية مصر العربية
جوال / ٠٠٢٠١٠٧٦١٠٠٩٩

www.darsabilelmomnen.com

E-mail: Dar_Sabilelmomnen@yahoo.com

E-mail: Dar_Sabilelmomnen@hotmail.com